

الفصل السادس

ماذا بقى من الأستاذ الإمام (نماذج من آثاره)

يحتل الشيخ محمد عبده في تاريخنا الفكرى والعربى المعاصر مكانة كبيرة . لقد وضع بصماته البارزة والواضحة على العديد من المجالات والميادين الفكرية والاجتماعية التى اهتم بها ، ومن المستحيل أن نتجاهل الدور العظيم الذى قام به سواء فى مصر أو بقية بلدان العالم العربى ، بل إنه كان معروفاً عن طريق آرائه الإصلاحية وكتاباتة الجريئة لدى كثير من المفكرين الغربيين ، نقول هذا رغم اختلافنا معه حول بعض آرائه .. نقول هذا ونحن نضع فى الاعتبار أنه لا يعد فيلسوفاً بالمعنى الدقيق لكلمة الفلسفة والتفلسف ولمصطلح الفيلسوف .

obeikandi.com

من النادر أن نجد شيخاً من المشايخ أو مفكراً من المفكرين ترك لنا بصمات عديدة أثناء حياته وبعد مماته ، مثل ما وجدناه وما زلنا نجده بالنسبة للإمام محمد عبده .

إن ذكره خالدة ، لأنه ترك لنا آثاراً لا يمكن التغافل عنها أو نسيانها ، كانت حياته مليئة بالنشاط والسعي نحو الرقى الخلقى والإصلاح الفكرى ، وكانت حياته إلى حد كبير هي فكره ، وفكره هو حياته ، نقول هذا بصرف النظر عن اختلافنا معه تارة واتفاقنا تارة أخرى .

وأذكر للتاريخ وأثناء حضوري عشرات الندوات التى كان يقيمها العقاد بمنزله بمصر الجديدة ، أن عباس العقاد كان يثنى ثناءً كبيراً على شيخين من المشايخ هما الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمود شلتوت ، وصدق العقاد إلى حد كبير جداً .

والحديث عن آثار الشيخ الإمام يعد حديثاً لا ينقطع ومتشعب الجوانب ، لأن التأثير عادة يمتد إلى الاتفاق والاختلاف ، وليس التأثير مقتصرًا على أخذ هذا الرأى أو ذاك من المفكرين كالشيخ محمد عبده على سبيل المثال ، بل إن التأثير يمتد حتى يشمل الخصوم أيضاً ، وخاصة بالنسبة للشيخ محمد عبده ، لأنه أثار العديد من المعارك الفكرية النظرية والعملية الإصلاحية ، فلا بد - إذن - أن يكون لها رد فعل ليس عند الأنصار فقط ، بل عند الخصوم أيضاً .

وكلما مر الزمن اكتشفنا المزيد من الآثار التى تركها لنا الشيخ الإمام ، لأن

المجدّد - كما قلنا - غير المقلّد ، فالمجدّد عادةً تبقى آثاره ممتدة ، وقد يكون أثره بعد وفاته أضعاف أضعاف أثره أثناء حياته ، أما المقلّد فإن حياته تنتهى بمجرد موته ؛ فيصبح نسياً منسياً .

وإذا كانت حياة الشيخ محمد عبده غاية في النشاط والحيوية ، حتى الأيام الأخيرة قليل وفاته ، رغم مرضه الشديد الذى قد لا يحتمله فرد من أفراد البشر، فإن أثره باقٍ طوال السنوات والقرون .

وإذا كان أثناء حياته شعلة نشاط ، عرفه الجميع وقام بالرد على كثير من النقاد والمستشرقين وجادل الخصوم ، وأثنى عليه كثير من المفكرين والكتّاب ، وكانت له مراسلات ليس مع المصريين والعرب فقط ، بل مع الأوربيين أيضاً ، فإن أثره ما زال موجوداً في حياتنا الحديثة المعاصرة .

ونريد أن نقف عند بعض اتجاهات بعض مفكرينا المحدثين والمعاصرين ، حتى يتبين لنا أن الذى بقى من محمد عبده يعد كثيراً جداً ، وبقاء أفكاره عند العديد من المحدثين والمعاصرين لا يكون بصورة واحدة أو على درجة متساوية، فقد يكون الأثر في فكرة واحدة ، وقد يكون الأثر شاملاً الاتجاه بأكمله ... إلى آخر هذه الصور والزوايا. ومن هنا فإننا إذا كنا سنشير إلى بعض النماذج ، فإن هذه النماذج ليست متساوية في درجة تأثرها بالشيخ الإمام ، نقول هذا ولا بد من القول به ، حتى ندرك أسباب تنوع فكر من تأثروا به .

لقد كتب عنه الكثيرون سواء كانوا من المصريين أو من العرب أو من الغربيين ؛ ويكفى أن نذكر أمثلة ، مجرد أمثلة ؛ فمن المصريين والعرب والترك والفرس: عثمان أمين ، وعباس العقاد ، ورشيد رضا ، وأحمد أمين ، ومصطفى عبد الرازق ، ومحمد حسين هيكل ، وقاسم أمين ، وسعد زغلول ، ومصطفى المراغى ، وأحمد لطفى السيد ، ومحمد بخيت المطيعى ، ومنصور فهمى ، وحافظ إبراهيم ، وعبد الرحمن بدوى ، وأحمد مختار باشا الغازى ، وعبد الله جودت ، وذكاء الملك الإيراني ، وطاهر بن عاشور بتونس ، ومحمد بن الخوجة التونسى ،

ومحمد الجعايبى التونسى ، وعاطف العراقى ، والشيخ محمد شاکر من تونس ،
 ومحمد بن عقيل ، وعبد الرحمن الكواکبى ، ويعقوب صروف ، ود. على سامى
 النشار ، ود. أبو العلا عفيفى ، وإبراهيم اليازجى ، وجورجى زيدان . ونعوم
 أفندى لبكى ، وإبراهيم باشا نجيب ، ومحمد توفيق البدرى ، ورياض باشا ،
 ومحمد طلعت باشا حرب ، وعبد العزيز بك نظمى ، وحافظ أفندى واصف ،
 وأحمد فتحى زغلول ، وإبراهيم بيومى مذكور ، وجمال الدين الأفغانى ،
 وشكيب أرسلان ، وعبد الرحمن قراعة ، ومحمد لطفى جمعة ، وفرح أنطون ،
 والشيخ محمد حسن التندرى ، ومحمد صادق أفندى عنبر... ومئات الدارسين
 لفكره ، سواء كتبوا عنه أو شاركوا بقصائد أو خطب فى العديد من المناسبات
 فور وفاته أو بعد مماته بفترة من الزمان قليلة كانت أو كثيرة^(١) ، بالإضافة إلى
 معاصرين كثيرين ، من بينهم المستشار شوقى الفنجرى ، ود. إبراهيم الفيومى ،
 ود. محمود حمدى زقزوق ، ود. نازلى إسماعيل ، ود. عبد الفتاح فؤاد ، ود. زينب
 محمود الخضيرى ، ود. على عبد الفتاح المغربى ، ود. سعيد مراد ، ود. زينب
 عفيفى شاکر ، ود. أحمد محمود الجزار ، ود. مرفت بالى ، وسعيد زايد ،
 ود. منى أبو زيد ، ود. سيد عبد الستار ميهوب ، ود. محمود سلامة ، ود.
 إبراهيم صقر ، ود. جمال المرزوقى ، ود. رجاء أحمد على ، ود. مصطفى لبيب ،
 ود. جمال رجب سيدبى .

وما يقال عن المصريين والعرب والترك والفرس وغير ذلك من الأمم ، يقال
 أيضاً عن الغربيين من أمثال ماكس هورتن ، وجولد تسيهر ، وشارل آدمز ،
 وشاخت ، وجب ، ولالاند ، وجوميه ، وإدوارد براون ، واللورد كرومر ،
 وهربرت سبنسر ، والسير مالکولم مكارىث الذى كان مستشاراً للحقانية بمصر ،
 وهانوتو ، ورينان ، وتولستوى ، ونذكر هؤلاء كأمثلة ، مجرد أمثلة ، هؤلاء سواء

(١) راجع عشرات المراجع التى كتبت عن أثره ، ومن بينها سيرة الأستاذ الإمام لرشيد رضا ، ورائد الفكر المصرى
 لعثمان أمين ، والعقل والتنوير فى الفكر العربى المعاصر لعاطف العراقى ، والكتاب التذكارى الذى أشرافنا عليه
 وصدر عن المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٥ م .

أشار إليهم محمد عبده في ردوده ، أو كتبوا عنه بتفصيل تارة ، أو إيجاز تارة أخرى ، وأيضاً من سيتحدثون عنه بإعجاب كبير كالدكتور على الشاذلي والذي كان وزيراً للشؤون الدينية بتونس .

إننا نجد في تاريخ الأستاذ الإمام لرشيد رضا قائمة وافية لمن اهتموا بالشيخ محمد عبده ، كما نجد عند الدكتور عثمان أمين في كتابه عن الشيخ محمد عبده بياناً مفصلاً بأكثر من تأثروا به وذلك في الفصل الذي كتبه بعنوان : أشعة الأستاذ الإمام^(١) . وقد ذكر مدرسة الإمام السياسية ، ومدرسته الاجتماعية ، ومدرسته الدينية ، ومدرسته الفلسفية . كما تحدث الدكتور عثمان أمين عن مدرسته في العالم الإسلامي كشكيب أرسلان ورشيد رضا^(٢) ، والذي أراد إحياء العروة الوثقى ، فأنشأ مجلة المنار واهتم بالأبعاد الفكرية بعد أن كان قد مال إلى التصوف ، وعبد القادر المغربي ، وكرد علي ، وجمال الدين القاسمي ، وعبد القادر البيطار ، وعبد الحميد الزهراوي ، ومحمد زاهد الكوثري ، وعبد القادر الترماني ، وذكر الدكتور عثمان أمين من تأثروا به في تركيا كالأستاذ محمد شرف الدين مدير المعهد الإسلامي بكلية الآداب باستانبول ، واهتمام محمد عاكف بترجمة قسم من مؤلفات الشيخ الإمام إلى اللغة التركية .

وقد ذكر الدكتور عثمان أمين أسماء العديد من الكتاب الذين تأثروا به في بلاد عديدة ، كذكاء الملك في إيران ، والاهتمام بفكر الأستاذ الإمام في الهند وإندونيسيا ... إلخ .

وكل ما نود أن نشير إليه ونحن نتحدث عما بقي لنا من الأستاذ ، ضرورة

(١) من ص ٢١٣ حتى ٢٤٤ . وراجع تصديراً لكتاب د . عثمان أمين في طبعته الصادرة عن المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٦ م .

(٢) بالإضافة إلى ما ذكرناه عن رشيد رضا وكيف كان مخالفاً بمنهجيه لمنهج الشيخ محمد عبده ، إذ أن الشيخ محمد عبده كان يميل إلى الاتجاه العقلاني التنويري ، في حين أن رشيد رضا كان يميل إلى الاتجاه السلفي المحافظ . وقد ذكر الدكتور عثمان أمين (ص ٢٣٠ - ٢٣١) من كتابه عن محمد عبده أن رشيد رضا لم يكن قومياً في تفكيره ، بالإضافة إلى موقفه المعارض للزعات التجديد في الأدب المصري الحديث ، وأيضاً كان ممن استكروا كتاب علي عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم» ومؤلف طه حسين «في الشعر الجاهلي» .

التركيز على جوانب مشرقة وضّاءة نستفيدها من فكره كالاتجاه العقلي والاتجاه النقدي والاتجاه الإصلاحى العملى ودفاعه عن تأويل الآيات القرآنية الكريمة.

ولكن الشيخ محمد عبده وهو بالدرجة الأولى يعد فرداً من أفراد بنى الإنسان وليس قديساً ، فإننا لا بد أن ننتبه إلى ما قد تثيره بعض آرائه من إشكالات ، وينبغى أن نقف عندها ونمحّص النظر فيها ، ومن جانبى أقول : إننى أختلف معه فى بعض الآراء : إنه يتفاخر بالغزالى وينسى أن الغزالى كان ضيق الأفق وجامد الفكر فيما نرى من جانبنا ، وذلك حين اتجه إلى تكفير الفلاسفة فى مجموعة من الآراء التى قالوا بها .

وعاب الشيخ محمد عبده على بعض الناس هجومهم على ابن تيمية ، ناسياً أن ابن تيمية كان شغوفاً هو الآخر بإطلاق أحكام التكفير على عديد من المفكرين والفلاسفة والصوفية . كما أن ابن تيمية يمثل طريقاً مغلقاً على نفسه ، لأنه لا يقبل التأويل .

أليست هذه الأمثلة كلها تؤدى بالقارئ إلى عدم اقتناع بواقعية الأدلة التى يذكرها محمد عبده . لقد كان من المنتظر من الشيخ محمد عبده أن يبين لنا أوجه القوة وأوجه الضعف التى نجدها عند كل مفكر على حدة . إن هذا يعد أفضل بكثير من ولعه بالتعميمات وإطلاق أحكام لا نجد أدلة مؤكدة على البرهنة عليها .

إنه - على سبيل المثال - يشير إلى مسألة العلاقة بين الدين والعلم أو الدين والعقل ، ويفترض منذ البداية ضرورة الربط بينهما ، وبالتالي إنكار التمييز بينهما على أساس أن العلم من ثمار العقل والدين من وجدانات القلب ، ولا سبيل إلى الجمع بينهما . إنه يذكر هذه القضية ولا يكلف نفسه مناقشة القائلين بها مناقشة مستفيضة بحيث يبين لنا ما قد نجده من جوانب إيجابية فى الفصل بين الدين من جهة والعقل والعلم من جهة أخرى ، بل نراه مكتفياً بالحديث حديثاً خطابياً عن هذه المسألة وكأنه يفترض أنه لا خلاف بينهما ويسقط من اعتباره تماماً

الحديث عن أوجه الضعف في مجالات التوفيق بين الدين والفلسفة والتي قام بها أكثر فلاسفة العرب في المشرق والمغرب . إن مجالات التوفيق بينهما لم تمنع الغزالي من الهجوم على الفلسفة والفلاسفة ، بحيث وجدت الفلسفة أنه لا مفر من الهجرة من المشرق إلى المغرب ، ولم تمنع محاولة ابن رشد في المغرب العربي من وقف الهجوم على الفلسفة والفلاسفة من بعده ، ولذلك نجد أن عصر الفلاسفة قد انتهى منذ وفاته وحتى أيامنا هذه في عالمنا العربي كله من مشرقه إلى مغربه . إن هذا كله يؤكد لنا أن مجالات التوفيق بين الدين والفلسفة أو بين الدين والعلم يعترضها الكثير من المصاعب التي تعد مصاعب جوهرية لا سبيل إلى تخطيها . هذا بالإضافة إلى تأثيره البالغ بفرق إسلامية كالمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ، وعيب هذه الفرق إسرافها في الاتجاه الجدلي وبعدها عن الطريق البرهاني .

وفرق محمد عبده بين محاولات الاضطهاد في المسيحية من جهة والإسلام من جهة أخرى ، وقد جانبه الصواب في ذلك ، وكان الأجدى تعميم القول بالاضطهاد من جانب كل منهما ما دام يفرق بين الدين من جهة وفهم الدين من جانب بعض ذوى النزعة المتحجرة الضيقة من جهة أخرى .

وقد كان طه حسين على حق حين ذهب في كتاباته بعد وفاة محمد عبده إلى أنه ليس في طبيعة دين من الأديان الدعوة إلى الاضطهاد ومحاربة العلم ، إنه يقول^(١): الحق أنه ليس في طبيعة الإسلام ولا في طبيعة المسيحية ما يدعو إلى الاضطهاد ومحاربة الجديد ولا إلى مناهضة حرية الرأي ، ولك أن تقر القرآن والأنجيل وتمعن في القراءة ، ولك أن تبحث وتمعن في البحث ، فلن تجد نصاً أو شبه نص ينكر التجديد ويدعو إلى مناهضته ، أو يأخذ العقول بالجمود ، أو يحظر عليها حرية الرأي قليلاً أو كثيراً ، ليس في الإسلام ولا في المسيحية - إذن- ما يدعو إلى مناهضة حرية الرأي ، ولم يكن في الوثنية اليونانية أو الرومانية ما يدعو إلى مناهضة حرية الرأي أيضاً ، ومع ذلك فقد أثم الوثنيون وأثم اليهود

(١) ص ٢٠٠ من كتابه « من بعيد » .

والنصارى والمسلمون واعتدوا جميعاً على حرية الرأى اعتداءً يختلف قوة وضعفاً.

إن أكثر الآراء التى تركها لنا مفكرنا محمد عبده تدلنا على أنه كان سابقاً لعصره ، تدلنا على أنه كان يتمتع بعقلية نقدية دقيقة من النادر أن نجد مثيلاً لها حتى عند مشايخ عصرنا الحالى . نجد العديد من الدروس التى نحن فى أمس الحاجة إليها الآن وبرغم مرور قرن من الزمان على وفاة الشيخ محمد عبده . إن كل الظواهر التى نشاهدها الآن ونحس بها إنما تدلنا - إذا ابتعدنا عن التفاؤل الساذج والتزمنا بالموضوعية - على أن عالمنا العربى الإسلامى يتأخر إلى الوراء ولا يتقدم خطوات إيجابية ملموسة نحو ما هو أفضل ، نحو ما يعد ضرورياً لنا حتى نواكب روح الحاضر وروح المستقبل . لقد أسرفنا فى المناقشات اللفظية العقيمة التى تعد كالأرض القاحلة الجذباء ، وفهمنا العلم فهماً خاطئاً واكتفينا بالتغنى بالماضى والبكاء على الأطلال ، وابتعدنا عن الديمقراطية كما ينبغى أن تكون الديمقراطية ، وبالغنا فى إثبات العلاقة بين الدين والسياسة وكأن السياسة لا وجود لها إلا من خلال الدين ، وتغافلنا عن مئات بل آلاف الحالات التى تمثل الاضطهاد وقمع حرية الفكر والتصفيات الجسدية والتى حدثت فى زماننا الماضى تحت ستار الحكومة الدينية ! هكذا يطلقون عليها .

وإذا كان الشيخ محمد عبده قد دعانا من خلال كتبه إلى التمسك بالتأويل وعدم الوقوف عند ظاهر النصوص الدينية ، وإذا كان قد ذكر كثيراً ضرورة التفرقة بين الدين فى طبيعته ، والدين كما يفهمه أناس يطلقون على أنفسهم «رجال دين» ، والدين منهم براء فيما يرى محمد عبده ، وإذا كان قد دعانا إلى الاستفادة من علوم غيرنا من الأمم وعدم الوقوف موقفاً عدائياً تجاههم ، فإن هذه كلها دروس رائعة ، دروس ينبغى أن نستفيد منها .

والحق أن المرء منا لا بد أن يدرك قوة أكثر الحجج التى ذكرها الشيخ محمد عبده أثناء دراسته للعديد من الموضوعات الفكرية والدينية ، لا بد أن يشعر

بالصدق من جانبه والرغبة الأكيدة في إصلاح أحوال المسلمين والعرب ، ويجب علينا أن نقف على أفكاره وأن ندرس اتجاهها الفكرى بكل دقة وموضوعية .
ويقيني أننا سنتعلم منه الكثير ، وسنستفيد من كتبه الكثير من الدروس ، كما سنستفيد من مواقفه الإصلاحية الجريئة .

وإذا كنا نختلف معه فى بعض الآراء التى ذهب إليها ، وبعض النقاط التى أثارها ، فإن هذا الاختلاف فى حد ذاته ، إن دلنا على شىء فإنما يدلنا على ثراء فكره وعمق اتجاهه ، يدلنا على أن الرجل قد ترك بصماته البارزة على مسار فكرنا العربى الحديث . لقد دخل الرجل تاريخ فكرنا المعاصر من أوسع الأبواب وأرحبها ، ومن حقنا أن نفخر به وبأفكاره ، ومن واجبنا الوقوف عند أفكاره وسبر أغوارها . ويقينى أن من يحاول إهمال أفكاره وتخطئ الدور الذى قام به ، فإن وقته يعد ضائعاً عبثاً ، إذ أن مفكرنا الإمام محمد عبده يعد علامة مضيئة فى تاريخنا الفكرى المعاصر ورائدة من الرواد الكبار الذين سعوا إلى التجديد ، إلى إنارة الطريق أمامنا ، إلى الربط بين الفكر والعلم ، وإلى النظر نظرة مستقبلية إلى حد كبير .

يجب علينا - إذن - الوقوف عند أفكاره ، لنأخذ منها ما نأخذ ولنرفض منها ما نرفض ، أما أن ننظر إليها من خلال منظور العبث والإهمال والنسيان ، فإن هذه النظرة تعد مرفوضة تماماً قلباً وقالباً لأننا أمام مفكر عملاق بذل أقصى ما يملك من جهد للدفاع عن الحقيقة فى كل زمان ومكان . إن دوره التنويرى يعد غاية فى الوضوح ، ولكننا يجب أن ننظر إليه كفرد من أفراد البشر ، وليس كقدیس ، فكم نجد لديه من الأفكار التى قد تكون بعيدة عن التنوير كما نفهمه ، التنوير الذى يتخطى البكاء على أطلال الماضى ، بحيث يكون متجهاً نحو دنيا المستقبل ، دنيا العلم ، دنيا العقل .

إننا نقول ونكرر القول بأنه لا تنوير بدون العقل ، وبقدر ما كان محمد عبده مقرباً من العقل كان مؤيداً للتنوير ، ولكن إذا وجدناه - كما اتضح لنا أحياناً -

مبتعداً عن العقل من قريب أو من بعيد ، في موقف أو أكثر من موقف ، فإنه لا يكون داخلًا في دائرة التنوير ، ويبقى لنا بعد ذلك كله أن نقول إن الكم التنويري عند الشيخ محمد عبده يفوق بكثير ما قدمه لنا من آراء قد تكون بعيدة عن التنوير ، ومن هنا يكون محمد عبده رائداً عملاقاً من رواد التنوير في عالمنا العربي المعاصر ، رغم اختلافنا معه على النحو الذي أشرنا إليه .

وإذا كنا نشير إلى أثره أثناء حياته وبعد وفاته ، فإنه لا مفر - إذن - من اختيار بعض النماذج والشخصيات ، وقبل بيان أوجه تأثير بعض الشخصيات بفكر أو منهج الإمام محمد عبده ، نجد واجباً علينا ، وإنصافاً من جانبنا للشيخ محمد عبده القول بأن أثر الشيخ الإمام لم يكن مقتصرًا على مفكرين وأساتذة من المصريين والعرب ، بل كان مؤثراً على كثيرين من الغربيين ، هذا بالإضافة إلى مناقشاته وردوده الواسعة على مستشرق كهانوتو والذي كان وزيراً للخارجية فرنسا ، وردوده أيضاً على فرح أنطون والذي ألف كتاباً عن ابن رشد . نقول هذا وبصرف النظر عن مدى اتفاقنا أو اختلافنا مع الشيخ الإمام محمد عبده . ولكن كل قصدنا هو القول بأن الشيخ الإمام كان يعيش أحداث عصره ، ويمثل رجل الدين كما ينبغي أن يكون ، نقصد من ذلك القول بأن الشيخ محمد عبده كان يتابع أكثر الأحداث والكتب والمقالات ولا يتردد في الرد على هذا الرأي أو ذاك من الآراء ، ومنتصراً للدين الإسلامي الحنيف .

ونود أن نقف وقفة قصيرة عند العناصر الرئيسية في مقال هانوتو^(١) ، وحديثه مع الأستاذ بشارة تقلا صاحب جريدة الأهرام ، وأيضاً سنشير إلى أبرز ما جاء في ردود مفكرنا الشيخ محمد عبده ، حتى ندرك أن الشيخ الإمام كان على درجة كبيرة من الثقافة ، وكان أيضاً شعلة نشاط .

لقد أشار هانوتو إلى الصلة بين فرنسا والإسلام ، وهو يركز بصفة خاصة

(١) يمكن الرجوع إلى التفصيلات الخاصة برأي هانوتو وردود الشيخ محمد عبده في دراستنا النقدية لكتاب « الإسلام دين العلم والمدنية » للشيخ محمد عبده ، ص ٢١ وما بعدها .

على شمال إفريقيا ، وإن كان يتحدث أيضاً عن بقية البلدان الإسلامية ، وإذا كنا نلاحظ عند هانوتو نوعاً من التعصب لأوروبا وللجنس الأري إلا أن حديثه عن المسلمين لا يخلو من بعض أوجه الصحة ، وقد أشار إلى ذلك محمد عبده رغم نقده العنيف لهانوتو حين يتعرض للحديث عن أصول الإسلام . إن جميع المسلمين - فيما يلاحظ هانوتو - تجمعهم رابطة واحدة ، بها يدبرون أعمالهم ويوجهون أفكارهم إلى الوجهة التي يبتغونها ، إنها كالكقطب الذي تنتهي إليه قوة المغناطيسية . إن جذوة الحمية الدينية تشتعل في أفئدتهم حين يقتربون من الكعبة ، من البيت الحرام ، من بئر زمزم التي ينبع منها الماء المقدس ، من الحجر الأسود . إنهم يتهافتون على أداء الصلاة صفوفاً ويتقدمهم الإمام مستفتحاً العبادة بقوله : بسم الله ، فيعمُّ السكون والسكوت وينشران أجنحتهما على عشرات الألوف من المصلين في تلك الصفوف ، ويملاً الخشوع قلوبهم ، ثم يقولون بصوت واحد : الله أكبر .

ويذكر هانوتو أنه توجد طوائف إسلامية تقوم مبادئها على نوع من التعصب ، وعلى كفاح غير المؤمنين : وكرهية المدنية الحاضرة . لقد أسس الشيخ السنوسي - فيما يقول هانوتو - مذهباً خطيراً له أشياع وأنصار ، وقد لبثوا زمناً طويلاً لا يرتبطون بعلاقة مع الدولة العلية بسبب ما بينها وبين الدول المسيحية من العلاقات .

كما يحاول هانوتو مناقشة العديد من الأمور الأساسية في كل دين والتي ترتبط بالقدر والمغفرة والحساب . وبعد مناقشته للعديد من المذاهب الدينية والفلسفية القديمة وإبرازه للفروق الرئيسية بين الإسلام والمسيحية من حيث طبيعة كل ديانة منهما ، نجده يبين لنا وجود رأيين مختلفين حول الإسلام : رأى يركز على بيان الخلافات وأوجه التناقض بين الدينين المسيحي والإسلامي ، ويصدر على المسلمين أحكاماً قاسية هوجاء . ورأى يذهب إلى أن الإسلام دين ومدنية يتصلان مع الدين المسيحي بعروة الإخاء والتصاحب .

ويركز هانوتو في مقاله ، وأيضاً في حديثه مع صاحب جريدة الأهرام والذي تم في يوليو عام ١٩٠٠م ، على ضرورة الفصل بين السلطين الدينية والسياسية ، ويؤكد باستمرار على أن أوروبا لم تتقدم إلا بعد أن تم الفصل بين السلطين .

إن سوء التفاهم الذي حدث بين الحاكمين والمحكومين في البلاد الإسلامية الخاضعة لحكومات مسيحية (الدول المستعمرة) إنما سببه الصلة الأكيدة بين السياسة والدين في العالم الإسلامي . ولكن رغم ذلك نجد - فيما يقول هانوتو - انقلاباً عظيماً في بلد من البلدان الإسلامية وهو القطر التونسي ، وهذا الانقلاب يتمثل في توطيد دعائم السلطة المدنية من غير أن يلحق بالدين مساس . يقول هانوتو في عبارة مهمة لا تخلو من مغزى : إنه يوجد الآن بلد من بلاد الإسلام قد ارتحى ، بل انفصم الحبل بينه وبين البلاد الإسلامية الأخرى الشديدة الاتصال بعضها ببعض . إذن : توجد أرض تنقلت شيئاً فشيئاً من مكة ومن الماضي الآسيوى . أرض نشأت فيها نشأة جديدة ، أنبتت في قضائها وإدارتها وعاداتها وأخلاقها ، أرض يصح أن تتخذ مثلاً يقاس عليه ، ألا وهى البلاد التونسية .

وقد أشار هانوتو في مقال ثانٍ إلى أن من قاموا بالرد عليه ، ومن بينهم الشيخ محمد عبده ، قد أخطأوا في فهمه ، ولم يتعرفوا على حقيقة وجهة نظرة ، بل تسرعوا في إصدار الأحكام التى تدل على الابتعاد عن الصواب تماماً وقد أكد على ذلك في حديثه مع صاحب جريدة الأهرام . إنه - فيما يقول - لا يتابع الكتاب الذين يذهبون إلى أن تقدم المسلمين يعد مستحيلاً لأن الإسلام دينهم يعوقهم عن ذلك ، فكلما تقدمت أوروبا تأخر الشرق ، لأن الواقف يتأخر بقدر ما يسير الماشى ، وأن كل حكومة انفصلت عن الشرق وسارت على النظام الأوروبى علماً ومدنية ، فإنها قد نجحت ، بل كل ما يود التنبيه إليه أن أوروبا التى تقدمت إنما مرجع تقدمها محاربة السلطة الدينية مدة ثلاثة قرون وذلك لكى تفصلها عن السلطة المدنية كما أن كل أمة لم تتقدم فى ماديتها ، فإنها لا بد أن

تموت ، إذ لا حياة بدون مادة ، وإله الشرقيين هو نفسه إله أوروبا وأمريكا . ولم يكن تقدم أوروبا وأمريكا وتأخر الشرق راجعاً إلى أن الله تعالى يميل إلى أوروبا وأمريكا أكثر من ميله إلى الشرق ، بل إن التقدم سببه العمل والاجتهاد ، والتأخر يكون سببه اليأس والتواكل والاستسلام والوقوف عند التغنى بأعجاد الماضي .

إن الياباني لم يقم باحتقار الأجنبي ؛ لأنه عنصر غريب ، أو لأنه مسيحي يعد دينه بعيداً عن دين أهل اليابان ، بل إن اليابان لم تتقدم إلا عن طريق اعتقادها بضرورة محاربة أوروبا ولكن بسلاح أوروبا أى : بالتشبه بأوروبا في العلم والمدينة والعمل . وإذا كانت النهضة العلمية قد بدأت في مصر وتم إنشاء العديد من المدارس ، إلا أن العبرة ليست بإقامة المدارس ، بل بوضع المناهج المدرسية ، فالعلم وحده لا يكفي ، ولكن لا بد أن يُمزج بالتهذيب ، وهذا كله إن دلنا على شئء فإنما يدلنا على أن السلطة المدنية تعد أهم وأشد من الرابطة الدينية ، ولم تتقدم أوروبا إلا حينما جعلت السلطة المدنية قاعدتها الأولى .

وعلى الرغم من صدق بعض الملحوظات التي قال بها هانوتو ، والتي يمكننا الاستفادة منها في التركيز على أهمية العمل والكفاح ، وأننا لن نتقدم إلا بالانفتاح على الحضارة الأوروبية ، إلا أننا لا بد أن ننبه إلى أن هانوتو إنما كان مدفوعاً بحكم أسباب سياسية أساساً ، وإلا كيف يمكننا تبرير تمجيده لتونس حينما كانت مستعمرة ، وتذكيره لنا باستمرار بأنه من الضروري فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية ، بالإضافة إلى شعوره بالتفوق - كما قلنا - لأنه من أبناء الجنس الآرى لا السامى .

ولا نود الوقوف كثيراً عند موضوع التمييز بين العقول والمواهب على أساس الأجناس ، أى : جنس آرى هو الذى يستطيع التفكير وإبداع المذاهب الفلسفية ، وجنس سامى لا يستطيع أن يصل إلى ما يصل إليه الأوربى الذى ينتمى إلى الجنس الآرى لا السامى . لقد انتهى إلى حد كبير جداً موضوع التمييز بين العقول على أساس التمييز بين الجنس السامى والجنس الآرى فالتفكير حظ مشترك للناس جميعاً ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .

وكم حاول محمد عبده الرد على آراء هانوتو في مقاله الذى سبق أن أشرنا إليه والذى نشر في جريدة « الجورنال » الباريسية وتمت ترجمته في جريدة المؤيد .

ويلاحظ على رد محمد عبده الاهتمام بإيراد العديد من الحقائق التاريخية ، وإن كان يعيب رده انسياقه وراء اللغة الخطابية الإنشائية وتركيزه على ماضى المسلمين عن طريق ذكر العديد من الأمثلة التى تبين لنا أمجادهم ، وكم قلنا من جانبنا إن الوقوف عند حد التغنى بالماضى لمجرد أنه ماضٍ ، والتغنى بالتراث لمجرد أنه تراث لن يفيدنا فى شيء .

ويبين لنا محمد عبده خلال رده على هانوتو أن الغرب الآرى قد أخذ عن الشرق السامى أكثر مما يأخذه الآن الشرق المضمحل عن الغرب المستقل ، ولم يقدم لنا محمد عبده أدلة تاريخية على ما يقول به ، بل إن محمد عبده كان من واجبه أن يجيب عن سؤال هو : وهل منع الغرب دول الشرق من الاستفادة من علومه وآدابه ؟

أما حديث محمد عبده عن بعض المذاهب الفلسفية اليونانية كمذهب أهل البخت والاتفاق ، والخلط بين هذا المذهب والقول بالجبر ... إلى آخر هذه الآراء ، فإنه يعد مليئاً بالأخطاء . ألم أقل لك أيها القارئ العزيز إن البضاعة الفكرية فى بعض ميادينها ومجالاتها ضحلة عند مفكرنا محمد عبده !

ونجد فى ردود محمد عبده الكثير من الجوانب الإيجابية والصادقة تماماً ومن بينها الدعوة إلى الحرية والابتعاد عن القول بالجبر ، وأيضاً تفرقه بين الدين فى أساسه وأصوله وأحكامه ، وبين ما نجده شائعاً عند بعض رجال الدين والذين لم يفهموا الإسلام فهماً صادقاً ودقيقاً . إن الإسلام لم يكن دعوة إلى الضعف والتواكل ، بل دعوة إلى القوة ، وقد ذكر محمد عبده فى هذا المجال وكدليل على دعوة الإسلام إلى الاعتماد على القوة ، ما قاله أبو بكر الصديق لـ خالد بن الوليد حين أرسله لحرب اليمامة . لقد قال له : حاربهم بمثل ما يحاربونك به : السيف بالسيف والرمح بالرمح . كما أن الله تعالى يقول : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾

[سورة الأنفال : ٦٠] . أما الآن فقد انقلب وضع الدين في عقل المسلم ، وحق فيه قول على كَرَّمَ الله وجهه : « إن هؤلاء القوم قد لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوباً » . لقد دخل على المسلم في دينه ما ليس منه ، وتسرب في عقائده من حيث لا يشعر ما لا يتصل بأصلها بل ما يهدم قواعدها ويأتى على أساسها . ويعرض علينا محمد عبده الكثير من الأمثلة التي تبين لنا كيف فهم أكثرنا القواعد الدينية فهماً خاطئاً .

كما يحدثنا محمد عبده خلال رده على هانوتو الذى طالب بالفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية ، عن معنى الجمع بين السلطتين في الإسلام . ويقول إن فرنسا تسمى نفسها حامية الكاثوليك في الشرق وملكة إنجلترا تُلقَّب بملكة البروتستانت ، فلم لا يُسمح للسلطان عبد الحميد أن يُلقَّب بخليفة المسلمين أو أمير المؤمنين ؟ هذا ما يقوله محمد عبده ، وهو أمر يدعو إلى العجب فيما نرى من جانبنا وهو في القرن العشرين .

والواقع أن محمد عبده في ردوده على هانوتو كان متسلحاً بالشجاعة والصبر والمناقشة المستفيضة لكل حجة من حجج هانوتو ، ولا يقلل من أهمية ردوده إلا إصرافه في التغنى بالماضى وتركيزه على الأمثلة التي تؤيد وجهة نظره ، دون أن يهتم بإيراد العديد من الأدلة التي تخالف وجهة نظره .

وفي دراستنا لما بقى من الأستاذ الإمام محمد عبده ، وبعد إشارتنا إلى ردوده على هانوتو . نود أن نشير إلى أن فكر الإمام كان مؤثراً في بلورة آراء العديد من المفكرين والأساتذة ، وإذا كنا قد ذكرنا أسماء أكثرهم ، فإنه لا بد من اختيار نماذج قليلة من الذين تأثروا بفكر الإمام سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، من قريب تارة ومن بعيد تارة أخرى ، وسنقف عند ثلاثة منهم هم قاسم أمين ومصطفى عبد الرازق وعثمان أمين .

فإذا بدأنا بقاسم أمين ، والذي توفي عام ١٩٠٨م أى : بعد وفاة الشيخ محمد عبده بثلاث سنوات ، فإنه يمكننا القول بأننا لا نستطيع سبر أغوار آراء قاسم

أمين إلا إذا وضعنا في اعتبارنا آراء الشيخ محمد عبده ، إنه يمثل - كما يقول بحق الدكتور عثمان أمين وهو يتحدث عن إشاعات الإمام محمد عبده - المدرسة الاجتماعية^(١).

يقول الدكتور عثمان أمين : يجب أن نلاحظ أن الأستاذ الإمام محمد عبده كان من أشد الناس حرصاً على تثقيف الفتيات المسلمات تثقيفاً يعينهن على أداء رسالتهن ، في نهضة البلاد الإسلامية . وكان يرى أن الإسلام في حقيقته يؤيد مساواة المرأة بالرجل في الحقوق ، وأنه إذا كان بعض المسلمين يسيئون إلى المرأة أو يهملون شأنها ، فما ذلك إلا نتيجة جهل بأهداف الشريعة السمحاء .

إننا إذا نظرنا مثلاً في تعدد الزوجات الذي أباحه القرآن تبييناً أنه أجاز لبعض ضرورات تاريخية لم يعد لها مبرر الآن ، والواقع أن هذه الإجابة تكاد تكون في حكم التحريم ، لما تتطلبه من شروط يتعذر الوفاء بها من الناحية العملية ، ولو تعمقنا دراسة الأصول الدينية ، ونفذنا إلى مقاصد الشريعة الكريمة اتضح لنا أن الإسلام يؤيد مبدأ الزوجة الواحدة ويعدّه المثل الأكمل للحياة الزوجية .

وجملة ما دعا إليه الأستاذ الإمام محمد عبده بهذا الصدد أن نتناول تطبيق الشريعة الإسلامية ببعض التعديل الذي يلائم روح العصر ، حتى نتيح للمرأة المسلمة فرصاً طيبة للثقافة والتعليم ، فإن من الجرم الصارخ أن ندع النساء المسلمات حبيسات ذلك السجن الضيق : سجن الجهل والجور والجمود ، وهن اللاتي يأخذن على عواتقهن أشق تبعات الحياة القومية . أعنى تربية الأبناء وإعدادهم لكي يكونوا مواطنين صالحين .

وإذا كان محمد عبده لم يستطع أن يحقق ذلك الإصلاح الاجتماعي الذي كان يصبو إليه ، فقد تعهّده أحد أصدقائه ومريديه الأخيار «قاسم أمين» ونهض بالدعوة إليه في حماسة لا تفتر ، حتى أصبح اسمه علماً على حركة تحرير المرأة في مصر .

(١) ص ٢١٥ وما بعدها من كتاب «رائد الفكر المصري» للدكتور عثمان أمين .

ولقد لقي قاسم أمين - كما لقي محمد عبده - أشد المعارضة من المحافظين المتزمتين الذين يعتقدون أن كل تجديد ضرب من الإلحاد والمروق من الدين .

ونظر قاسم أمين في العيوب والآفات التي يزرع المجتمع المصري تحت عبثها، فوجد أن مرجع ذلك إلى أن نصف الأمة قد انتابه الشلل التام في الحياة الاجتماعية ، شلل سببه الجهل والتأخر اللذان قيدت بهما المرأة عندنا ، وحرص قاسم أمين على أن يبين أن الإسلام - خلافاً للوهم الشائع - لم ينظر للمرأة نظرة مهانة أو زراية ، بل رفع من قدرها وأعلى من شأنها ، وإذا كانت المرأة قد عانت شيئاً من المظالم في المجتمع الإسلامى ، فليس الإسلام في بساطته الأولى بمسئول عن ذلك ، وإنما المسلمون في العهود الأخيرة هم وحدهم المسئولون .

وخلاصة الإصلاح الذى أراد قاسم أمين للمرأة المصرية أمران : يتصل الأول بالعادات أو العرف الذى تُعامل المرأة بمقتضاه ، وينظر به إلى تعليمها وتربيتها . والثانى نداء إلى رجال الدين أن يراعوا مقتضيات العصر الحديث ومطالبه ، وأن يتحرروا في تطبيقهم لقوانين الشريعة من فهم النصوص على ظواهرها .

على أن تربية المرأة تربية تهيئها لأن تشغل مكاناً لائقاً في المجتمع المصرى يراها قاسم أمين واجباً وطنياً فضلاً عن كونها فرضاً شرعياً : فقد ذهب استقلال مصر وأطمع فيها الغربيين ، ولم يكن أمام المصريين من سبيل لمقاومة الغاصبين إلا إذا استمسكوا من الداخل بتربية قومية جديدة ، وليس من سبيل إلى تربية الأمة حتى تُربى المرأة كما يُربى الرجل ؛ لتخلق الجيل الجديد .

لم يكن لصوت قاسم أمين صدئ عالٍ في حياته ، ولكن هذ الصوت سرعان ما جلجل في الحياة الاجتماعية المصرية ، وأخذت الدعوة إلى نهضة المرأة تشغل مكانها البارز على صفحات المجلات والجرائد والكتب ، فجاءت «باحثة البادية» بالدعوة إلى ذلك ، وشرعت في تأليف كتاب «حقوق النساء» . وآمن رجال الفكر أن نهضة البلاد مرهونة بتقدم المرأة وتمكينها من المشاركة في شؤون

المجتمع بأوفر نصيب ، وظهرت جريدة «السفور» التى ألحّت على ضرورة تثقيف النساء وتحريرهن ، وهكذا شاهدنا المرأة المصرية سنة ١٩١٩م فى طليعة الثوار تنادى بأعلى صوتها بحق وطنها فى الحرية والاستقلال .

ونقول من جانبنا بأن قاسم أمين^(١) يحتل فى تاريخنا الفكرى المعاصر مكانة بارزة ، ويكفى أننا لا نذكر حركة تحرير المرأة العربية إلا ونذكر معها كتاب «المرأة الجديدة» وكتاب «تحرير المرأة» والكتابان من تأليف قاسم أمين .

لقد بذل مفكرنا قاسم أمين جهداً وجهداً كبيراً فى هذا المجال ، مجال الدفاع عن تحرير المرأة العربية ، واستطاع أن يضع بصماته الواضحة والبارزة فى ميدان الدفاع عن تحرير المرأة والدعوة إلى تحرّرها من القيود والأغلال والعادات والتقاليد البالية .

إن من يطالع الفصول التى تضمنها كتاب «المرأة الجديدة» لقاسم أمين ، يدرك مقدار الجهد الذى بذله مؤلفه فى محاولة إقناع العقول والنفوس بالقضية التى يدافع عنها ، خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار الفترة الزمنية التى تم تأليف الكتاب خلالها . فإذا كانت الأفكار التى قال بها قاسم أمين ، قد أصبحت مقررة وواضحة الآن إلى حد كبير ، إلا أنها كانت فى أيامه وحين شرع فى تأليف كتابه ، كانت تحتاج إلى دفاع ومناقشة للآراء المعارضة للأفكار التى ذهب إليها ، تماماً كما هو الحال بالنسبة للدكتور طه حسين ، إذ أن الأفكار التى قال بها إذا كنا نجد بعضها يعد الآن أقرب إلى الآراء البديهية إلا أن تلك الأفكار قد لاقت معارضة كبيرة فى الوقت الذى قال فيه بتلك الأفكار .

ينبغى - إذن - الحكم على الجهد الذى قام به قاسم أمين من خلال الفترة الزمنية . لقد ألّف كتابه «المرأة الجديدة» منذ ما يقرب من قرن من الزمان ، وعلى وجه التحديد عام ١٩٠٠ م ، معنى هذا أنه يفصل بيننا وبينه فترة زمنية طويلة إذا وضعنا فى اعتبارنا التطورات الكبيرة التى حصلت عليها المرأة ، ليس فى مصر أو عالمنا العربى فحسب ، بل فى سائر بلدان العالم .

(١) راجع كتابنا : العقل والتنوير فى الفكر العربى المعاصر ، ص ٢٢٥ وما بعدها .

قلنا إن كتاب «المرأة الجديدة» قد تضمّن مجموعة من الفصول أو الأقسام ، إنه يدرس «المرأة في حكم التاريخ» و « حرية المرأة» و « الواجب على المرأة لنفسها» و «الواجب على المرأة لعائلتها» و«التربية والحجاب» إلى آخر الفصول أو الأقسام التى تضمّنها هذا الكتاب المهم «المرأة الجديدة» .

إنه كتاب مهم - إذن - قام بتأليفه مفكرنا قاسم أمين ، كتاب لا غنى عنه إذا أردنا دراسة التطور الفكرى فى مصر وخاصة فى مجال المرأة ، وإذا أردنا أيضاً المقارنة بين صورة المرأة قديماً والصورة التى يرجوها قاسم أمين للمرأة ، وأيضاً صورة المرأة فى أيامنا هذه ، وهذا يكشف عن تأثره بالشيخ محمد عبده .

ومن الواضح أن مفكرنا قاسم أمين يدافع عن المرأة ويعلى من قدرها ، وذلك ابتداء من الصفحات الأولى من كتابه ، بل من إهدائه إلى سعد زغلول ، فهو يقول فى إهدائه : إلى صديقى سعد زغلول ، فيك وجدت قلباً يحب وعقلاً يفكر وإرادة تعمل ، أنت الذى مثّلت إلى المودة فى أكمل أشكالها ، فأدركت أن الحياة ليست كلها شقاء ، وأن فيها ساعات حلوة لمن يعرف قيمتها . من هنا أمكننى أن أحكم أن هذه المودة تمنح ساعات أحلى إذا كانت بين رجل وزوجته ، ذلك هو سر السعادة التى رفعت صوتى لأعلنه لأبناء وطنى رجالاً ونساء .

ويربط قاسم أمين فى مقدمة كتابه بين المرأة الجديدة والتمدن الحديث ، فالمرأة الجديدة هى ثمرة من ثمرات التمدن الحديث بدأ ظهورها فى الغرب على إثر الاكتشافات العلمية التى خلّصت العقل الإنسانى من سلطة الأوهام والظنون والخرافات وسلّمته قيادة نفسه ورسمت له الطريق التى يجب أن يسلكها .

ويلاحظ قاسم أمين أن الأوربيين كانوا قبل ذلك يرون رأينا اليوم فى النساء ، وأن أمرهن مقصور على النقص فى الدين والعقل ، وأنهن لسن إلا عوامل الفتنة وحبائل الشيطان ، وكانوا يقولون إن «ذات الشعر الطويل والفكر القصير» لم تخلق إلا لخدمة الرجل ، وكانوا يسخرون من المرأة التى تترك صناعة الطعام وتشغل بمطالعة كتب العلم ، ويرمون بالتطفل على ما كانوا يسمونه «خصائص الرجال» .

معنى هذا أن قاسم أمين يبين لنا أننا لكي نتطور مثل أوروبا ، فلا بد -إذن- من تغيير نظرتنا إلى المرأة ، وذلك حتى نعيش عصرنا ، عصر التمدن والحضارة .

وإذا كنا نجد بعض رجال الدين يقاومون تعلّم المرأة والنظر إليها نظرة سامية راقية ، فإن قاسم أمين وجد من الضروري أن يبين لنا أن هذا التصور من بعض رجال الدين لا يعد تصوراً سليماً ، بل منافياً للشرعية الإسلامية ، فهو يقول : المطلع على الشريعة الإسلامية يعلم أن تحرير المرأة هو من أنفس الأصول التي يحق لها أن تفخر به على سواها ، لأنها منحت المرأة من اثني عشر قرناً مضت الحقوق التي لم تنلها المرأة الغربية إلا في هذا القرن وبعض القرن الذي سبق ، حتى أنها لا تزال محرومة من بعض الحقوق وهي الآن مشغلة بالمطالبة بها . (المرأة الجديدة ص ٤٧) .

ويحاول قاسم أمين بحكم دراساته السياسية والقانونية والاجتماعية أن يبين لنا العلاقة بين مشكلة المرأة من جهة ، والأنظمة الديمقراطية أو الديكتاتورية من جهة أخرى ، فهو يبين لنا أننا إذا نظرنا إلى البلاد الشرقية فإننا نجد أن المرأة في رق الرجل ، والرجل في رق الحاكم ، فهو ظالم في بيته ، مظلوم إذا خرج منه ، أما بالنسبة للبلاد الأوربية - حيث الحكومات هناك قائمة على الحرية ومؤسسة على احترام الحقوق الشخصية - فإننا نجد شأن النساء فيها قد ارتفع إلى درجة كبيرة من الاعتبار وحرية الفكر والعمل . كما أن المرأة الأمريكية مُنحت في جميع الولايات المتحدة حظاً عظيماً من الحقوق العمومية ، ومثال ذلك أنها تشغل بالمحاماة ، وترافع أمام جميع المحاكم ، ويوجد قضاة من النساء في بعض الولايات الأمريكية ، كما تم تعيين بعض النساء في وظيفة نائبة عمومية ، ويوجد عدد عظيم منهن في وزارات الخارجية والداخلية والحربية (المرأة الجديدة ص ٥٢-٥٤ ، وفي مواضع متفرقة) .

أما بالنسبة لروسيا فإن مركزها الجغرافي - فيما يقول قاسم أمين - قد قضى عليها بأن تتأثر بالعادات الشرقية ، ولهذا فقد عاش نساؤها من أهل الطبقة

العالية والطبقة الوسطى محجوبات كنساء الشرق ، مسجونات في البيوت ، محرومات من التربية والتعليم ، وليس لهن من الحقوق إلا ما تسمح به رحمة أزواجهن ، ولم تبطل هذه العادة من البلاد الروسية إلا بعد صدور أمر من جانب بطرس الأكبر بإلغاء الحجاب مرة واحدة ، وكان ذلك في سنة ١٧٢٥م ثم قامت الإمبراطورة كاترين بإتمام عمل بطرس الأكبر ، وذلك حين اشتغلت بتأسيس المدارس للبنات ونشر التربية العقلية والأدبية بينهن (المرأة الجديدة ص ٥٥ ، ٥٦) .

وهكذا يعطينا قاسم أمين الكثير من الأمثلة التاريخية من خلال إشاراتِهِ إلى كثير من البلدان الشرقية والغربية والأمريكية ، كما يبين لنا أنه من استعراض تاريخ حياة المرأة في العالم يتكشف لنا أن المرأة عاشت حرة في العصور الأولى ، حيث كانت الإنسانية لم تنزل في مهدها ، ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي . ثم لما قامت الإنسانية على طريق المدنية تغيرت الصورة ، صورة هذا الرق ، واعترفَ للمرأة بشيء من الحق ، وإن خضعت لاستبداد الرجل الذي قضى عليها بأن لا تتمتع بالحقوق التي اعترف لها بها ، ثم لما بلغت الإنسانية مبلغها من المدنية نالت المرأة حريتها التامة وتساوت المرأة بالرجل في جميع الحقوق أو على الأقل في معظمها .

هذا يعنى وجود أربع مراحل أو أربعة أدوار لتاريخ حياة المرأة في العالم ، يمكن من جانبنا توضيحها فيما يلي :

المرحلة الأولى : حرية المرأة في فجر الإنسانية وقبل تشكيل الأسرة .

المرحلة الثانية : الاستعباد الحقيقي للمرأة بعد تشكيل الأسرة (الرق) .

المرحلة الثالثة : الاعتراف للمرأة ببعض الحق وإن كانت قد خضعت للرجل .
(تغيرَ صورة الرق) .

المرحلة الرابعة : حصول المرأة على حريتها التامة ومساواتها بالرجل في كثير من الحقوق .

وإذا تساءلنا في محاولة من جانبنا لتطبيق هذه المراحل على المرأة المصرية ، عن المرحلة التي تمر بها اليوم ، أجابنا قاسم أمين قائلاً : المرأة المصرية هي اليوم في الدور الثالث من حياتها التاريخية ، بمعنى أنها في نظر الشرع إنسان حر له حقوق وعليه واجبات ، ولكنها في نظر العائلة وفي معاملتها لها ليست بحرة ، بل محرومة من التمتع بحقوقها الشرعية . وهذه الحالة التي عليها المرأة اليوم هي من توابع الاستبداد السياسى الذى يخضعها وتخضع له (المرأة الجديدة ، ص ٥٦) .

ويلاحظ أن قاسم أمين رغم الجهد الكبير الذى قام به سواء في ضرب الأمثلة من البلاد العربية والأوربية والأمريكية أو محاولة تقسيم تاريخ المرأة إلى أربعة أدوار ، فإن الصواب قد جانبه تماماً حين لجأ إلى التعميمات التى لا تخلو من أخطاء وأوجه فساد . فمن الصعب - فيما نرى من جانبنا - القول بطابع معين لوضع المرأة في عصر معين وفي بلد معين ، وقد تختلف النظرة إلى المرأة من المدينة إلى القرية ، وقد نجد تشابهاً بين وضع المرأة في بعض الفترات الزمنية ووضعها في ولاية أمريكية ووضعها في روسيا ، مع ملاحظة أن قاسم أمين يتحدث بطبيعة الحال عن البلاد الروسية قبل الثورة . لقد لجأ قاسم أمين إلى تعميمات خاطئة وقد أفسدت عليه وعلينا التوصل إلى النظرة الصحيحة للمرأة وتاريخها في كل مرحلة من المراحل ، كما يلاحظ أن قاسم أمين حين يتحدث عن الظلم الواقع على المرأة لا يركز أساساً إلا على الاستبداد السياسى ، في حين أننا قد نجد دولتين تعاني كل دولة منهما من الاستبداد السياسى ، ورغم ذلك فقد نجد وضع المرأة في دولة منهما يختلف تماماً عن وضع المرأة في الدولة الأخرى . هذا نجد قديماً ونجد في الفترة الزمنية التى عاشها قاسم أمين (١٨٦٣ - ١٩٠٨م) كما نجد في الأيام التى نعيشها الآن .

كان ينبغي على قاسم أمين - وبحكم دراساته السياسية والقانونية والاجتماعية - أن يتجنب تماماً هذه التعميمات الخاطئة والمقدمات غير الصالحة التى لا بد وأن تؤدي به بالتالى إلى نتائج خاطئة ومجانبة للصواب ، ماذا نقول ؟

بل لا يخلو بعضها من نوع من السطحية والسذاجة ، وذلك على الرغم من القصد النبيل الذى سعى إليه مفكرنا قاسم أمين .

ويعقد قاسم أمين فصلاً رائعاً يتحدث فيه عن حرية المرأة وعن الحجاب وهو يعطينا العديد من الأمثلة التى لا يخلو أكثرها من دقة وتحليل اجتماعى صادق ، كما يناقش قدرات الرجل والمرأة ، وذلك للرد على كثير من الاعتراضات التى تقوم على أساس ضرورة التمييز بين الرجل والمرأة ورفع الرجل على المرأة . فإذا كان الرجل يرى أن المرأة تعد ملكاً له ، فإن الحجاب هو عنوان ذلك الملك القديم وأثر من تلك الأخلاق المتوحشة - فيما يرى قاسم أمين - والتى عاشت بها الإنسانية أجيالاً قبل أن تهتدى إلى إدراك أن الذات البشرية لا يجوز أن تكون محلاً للملك لمجرد كونها أنثى ، كما اهتدت إلى تفهّم أن سواد البشرية ليس سبباً لأن يكون الرجل الأسود عبداً للأبيض .

لقد كبر على الرجل أن يعتبر المرأة التى كانت ملكاً له بالأمس مساوية له اليوم ، فزَيّن له أن يضعها فى مرتبة أقل منه فى الخَلْقة ، وزعم أن الله لما خلق الرجل وهبه العقل والفضيلة ، وحرّمها فى هذه الهبات ، وأنها لضعفها وقلة عقلها وميلها مع الشهوات ، يلزم أن تعيش غير مستقلة تحت سيطرة الرجل ، وأن تنقطع عن الرجال وتتحجب بأن تعيش فى بيتها ، وتستر وجهها إذا خرجت ، وأنها ليست أهلاً للرقى العقلى والأدبى ، فيلزم أن تعيش جاهلة ، ذلك هو السر فى فرض الحجاب وعلّة بقاءه إلى الآن . فأول عمل يعد خطوة فى سبيل حرية المرأة - فيما يرى قاسم أمين - هو تمزيق الحجاب ومحو آثاره (ص ٦٥ من كتاب المرأة الجديدة) . كما يذكر قاسم أمين آراء كثير من العلماء حول طبيعة المرأة فى مجال القدرات العقلية وغيرها . ويذهب بعد ذكره لبعض الآراء إلى القول بأن المرأة فى رأى أعظم العلماء وأدقهم بحثاً مساوية للرجل فى القوى العقلية، وتفوقه فى الإحساسات والعواطف ، وإنما يظهر للناظر وجود فرق عظيم بينهما فى العقل لأن الرجال اشتغلوا أجيالاً عديدة بممارسة العلم

فاستنارت عقولهم بخلاف النساء . فعلى أى دليل علمى يستند الرجال لاستعباد النساء ؟ وبأى حق جاز لهم أن يحرموهن حريتهن ؟ لنفرض جدلاً أن عقل المرأة أقل من عقل الرجل ، فهل نقصان العقل فى شخص يبيح أن يُجَرَّد من حريته ؟ وما قررته الشريعة الإسلامية من حقوق للمرأة يقودنا إلى أن هذه السلطة الأدبية هى التى ترمى إليها الآية الشريفة التى ذكرت أن الرجال قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ . وقد نحت الشرائع الأوروبية هذا النحو فحوَّلت للرجل مثل هذه السلطة على زوجته وسمَّتها سلطة الزوجية ، ومع ذلك فكل إنسان يرى النساء الغربيات متمتعات بحريتهن .

وهكذا يمضى مفكرنا النابه قاسم أمين فى ذكر العديد من الأمثلة التى يريد من ورائها الدفاع عن حرية المرأة وبيان أضرار الحجاب ، ونجد هذا واضحاً تماماً ليس فى هذا الفصل فقط والذى عنوانه «حرية المرأة» بل نجده أيضاً فى الفصل الذى يناقش فيه الواجب على المرأة لنفسها ، وهو يدافع عن تعليم المرأة ويبين أهمية أن تعمل ، فمهما اختلف الناس فى فهم طبيعة المرأة ، لا يجوز أن يدعى أحد أنها يمكن أن تستغنى عن الأعمال التى تحافظ بها على قواها الحيوية وتُعدها للقيام بحاجات وضرورات الحياة الإنسانية . وإذا كان الكثير منا يظن أن المرأة فى غنى عن أن تتعلم ، ويزعمون أن رقة مزاج النساء ونعومة بشرتهن وضعف بنيتهن يصعَّب من أن يتحمَّلن متاعب الكد وشقاء العمل ، فإن هذا الكلام هو فى الحقيقة تدليس على النساء وإن كان ظاهره الرأفة عليهن .

ويحلل قاسم أمين تحليلاً دقيقاً أوجه الحاجة إلى عمل المرأة ، وخاصة بالنسبة لنفسها على المستوى الشخصى والعائلى على الأقل ، وذلك حتى لا تبقى عالة على أبيها أو أخيها فى حالة عدم زواجها . وهو يذكر العديد من الأمثلة لكى يدلل على وجهة نظره ، ويضرب أيضاً أمثلة كثيرة لبعض المهن التى يمكن للمرأة القيام بها . فيجب أن تُربى المرأة على أن تكون لنفسها أولاً لا أن تكون متاعاً لرجل ربما لا يتفق لها أن تقترن به مدة حياتها ، يجب أن تُربى المرأة على أن

تدخل في المجتمع الإنساني وهي ذات كاملة لا مادة يشكلها الرجل كيفما شاء .
يجب أن تُربى المرأة على أن تجد أسباب سعادتها وشقاؤها في نفسها لا في غيرها
(ص ٩٠) .

إنها مبادئ يقررها قاسم أمين في كتابه عن المرأة الجديدة ، ومن الواضح
دفاعه عنها خلال كل صفحات وفصول كتابه ، وهو يرتب على ذلك قوله : نتج
من كل ما تقدّم أن للمرأة حقاً في أن تشتغل بالأعمال التي تراها لازمة للقيام
بمعاشها ، وأن هذا الحق يستدعي الاعتراف لها بحق آخر وهو أن توجه تربيتها
إلى الطرق التي تؤهلها إلى الانتفاع بجميع قواها وملكاتنا . وليس معنى ذلك
إلزام كل امرأة بالاشتغال بأعمال الرجال ، وإنما معناه أنه يجب أن تُهيأ كل امرأة
للعمل عند مساس الحاجة إليه .

وهذا ما نجده أيضاً في الفصل الذي يناقش فيه « الواجب على المرأة لعائلتها »
فهو يدافع عن عمل المرأة ويرد على ظن الناس بأن تمتع المرأة بحريتها واشتغالها
بما يهتم به الرجل ، والتوسع في تربيتها يؤدي إلى إهمالها في القيام بما يجب عليها
في الشؤون العائلية ، وبالتالي وضعوا بينها وبين العالم الخارجي حجاباً تاماً حتى
لا يشغلها شيء عن معايشة زوجها وإدارة منزلها وتربية أولادها .

كما نطالع في آخر فصل من فصول كتابه مناقشة مستفيضة لموضوع التربية
والحجاب ، وهو فصل بذل فيه مفكرنا قاسم أمين جهداً واضحاً بارزاً ، وإن
كان يميل في بعض نقاطه على التركيز على رأيه دون المناقشة الموضوعية للآراء
المخالفة ، كما نجد فيه نوعاً من الخلط وإدخالاً لبعض الموضوعات التي
لا تدخل دخولاً مباشراً في الموضوع الذي يكتب فيه .

وفي الصفحات الأخيرة من الكتاب ، أي : الخاتمة ، فإننا نجد تركيزاً من
جانب المؤلف على بيان أن النساء قطعن دور الاستعباد ، ولم يبقَ بينهن وبين
الحرية إلا حجاب رقيق ، إذ شعر المصريون بالحاجة إلى تربية بناتهم بعد أن كانوا
لا يعلمونهن شيئاً ، كما تم تخفيف الحجاب وذهابه شيئاً فشيئاً ، بالإضافة إلى

ضيق الشبان من الزوج على الطريقة القديمة وتمنيهم تغييرها بما يمكنهم من معرفة المخطوبة. بل إن الحكومة قد اهتمت بموضوع إصلاح المحاكم الشرعية، وما يرتبط بهذا الإصلاح من مجالات تتعلق بالعائلات المصرية وموضوع تعدد الزوجات وتخويل المرأة حق الطلاق .

وهو يشير إلى ما جاء في تقرير الشيخ محمد عبده الخاص بإصلاح المحاكم الشرعية ، ويركز على كلامه الخاص بموضوع تعدد الزوجات حين يقول : هذا وإننى أرفع صوتي بالشكوى من كثرة ما يجمع الفقراء من زوجات في عصمة واحدة ، فإن الكثير منهم عنده أربع من الزوجات أو ثلاث أو اثنتان ، وهو لا يستطيع الإنفاق عليهن ، ولا يزال معهن في نزاع على النفقات وسائر حقوق الزوجية ، ثم إنه لا يطلقهن ، ولا واحدة منهن ، ولا يزال الفساد يتغلغل فيهن وفي أولادهن ، ولا يمكن أن يقيموا حدود الله ، وضرر ذلك بالدين والأمة غير خافٍ على أحد .

وكم يثنى قاسم أمين على الشيخ محمد عبده حين يجد من جانبه اهتماماً بمسألتين أثارهما في كتابه «تحرير المرأة» ولم يغفلها في كتابه « المرأة الجديدة » ، وهما- كما قلنا - مسألة تعدد الزوجات ، ومسألة تخويل المرأة حق الطلاق . فهو يقول : هاتان المسألتان ؛ مسألة تعدد الزوجات ومسألة حق الطلاق ، هما من أهم المسائل التي استلفتنا إليها الأنظار في كتاب تحرير المرأة ، ويسرُّنا أن عالمًا عظيمًا وفقيرًا حكيماً مثل الشيخ محمد عبده رأى أنهما جديرتان بهمته فأيد بصوته المسموع ما اقترحناه فيهما (ص ١٣٥) .

مسائل عديدة وموضوعات شائكة تعرّض قاسم أمين لدراستها وتحليلها ، وقد تسلّح بالشجاعة لا شك في ذلك ، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار الفترة الزمنية التي أتم فيها تأليف هذا الكتاب «كتاب المرأة الجديدة» وإذا كنت قد أشرت إلى بعض مواضع الضعف في كتاب قاسم أمين سواء من حيث المنهج الذي سار عليه أو المادة العلمية في كتابه ، إلا أنني أقدر شجاعته وعقليته

المتفتحة ، وما أحوجنا الآن إلى أمثاله . ومناقشاته تعد إلى حد كبير مستفيضة زاخرة بالأمثلة الواقعية الحية ، نقول هذا وبصرف النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا مع قاسم أمين ، إذ أننا نركز أساساً على بيان مقدار تأثره بالشيخ الإمام محمد عبده ، والذي كان يتحدث باستمرار عن خلقه وصفاته بالثناء الكبير .

يقول قاسم أمين في وصف الشيخ محمد عبده^(١) : بلغت فيه طيبة النفس إلى درجة تكاد تكون غير محدودة ، كان يجذبه الخير كما يجذب المغناطيس الحديد فيندفع إليه ، ويسعى إلى كل نفع للغير عام أو خاص .

كان ملجأً للفقراء واليتامى والمظلومين والمرفوتين والمصابين بأية مصيبة ، وأهل الأزهر الذين هم أكثر الناس احتياجاً إلى المساعدة لأنهم في وسط المدنية الحاضرة المتأخرون العاجزون عن الدفاع عن أنفسهم في ميدان حياتنا الجديدة . يبذل إليهم ماله ويسعى لهم عند ولادة الأمور بهمة لا تعرف الملل كأنها كان يسعى لأعز إنسان لديه .

بل كان يسعى لصاحب الحاجة وهو يعلم أنه أساء إليه وقبح فيه وتحالف مع خصومه في ترويج عبارات القذف والنميمة التي لم تنقطع عنه يوماً مدة حياته .

كان الأستاذ يرى أن الشر لا فائدة منه مطلقاً ، وأن التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هما أحسن ما يعالج به السوء ويفيد في إصلاح فاعله .

هذا عن قاسم أمين ، وإذا انتقلنا إلى الحديث عن مفكر آخر تأثر بالشيخ محمد عبده تأثراً كبيراً ، وكتب عنه العديد من المقالات ، بالإضافة إلى تأليفه كتاباً مستقلاً عنه ، وجدنا الشيخ مصطفى عبد الرازق^(٢) ..

يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق في رسالة منه إلى الدكتور عثمان أمين^(٣) :

(١) كتاب الشيخ مصطفى عبد الرازق عن الإمام محمد عبده ص ٢٨ وأيضاً تاريخ الأستاذ الإمام لرشيد رضا ، وقد سبق أن أشرنا إلى قاسم أمين في الكلمات التي قيلت عن الشيخ محمد عبده .

(٢) توفي عام ١٩٤٧ م .

(٣) نشرت هذه الرسالة في كتاب الدكتور عثمان أمين عن الشيخ محمد عبده - طبعة المجلس الأعلى للثقافة - تصدير عاطف العراقي ص ٢١ - ٢٢ .

صديقي الأستاذ الدكتور عثمان أمين :

أول مَنْ ترجم للشيخ محمد عبده ، وعُنِيَ بنشر آثاره هو السيد رشيد رضا صاحب «المنار» والسيد رشيد رضا هو أول من لَقَّب الشيخ محمد عبده بالأستاذ الإمام . وهذا اللقب نفسه يُنْبئ بالصورة التي أراد أن يرسمها السيد رشيد رضا لشيخه فيما كتب عنه ، وينبئ بالفكرة السائدة من وجهة نظر التلميذ إلى أستاذه .

الشيخ محمد عبده عند السيد رشيد رضا إمام من أئمة الإسلام ، وله في الدين مذهب يقوم أصحابه على روايته وتدوينه كما قام أصحاب أبي حنيفة والشافعي وغيرهما على ما لأولئك الأئمة من مذاهب .

وإذا كان الشيخ محمد عبده إماماً في الدين ، فالسيد رشيد رضا لا شك صاحبه ومفسر مذهبهِ ومُكَمِّلُهُ . وقد بذل منشئ « المنار » - رحمه الله - مجهوداً في هذه الناحية ضخماً حافلاً بالمباحث الدينية والمناقشات الفقهية ، وكان لهذا المجهود العظيم أثر كبير في طلاب العلوم الدينية ومن إليهم ، وفي توجيه الدراسات الشرعية في بلاد الإسلام المختلفة .

ثم نهض بعض الكُتَّاب والباحثين لدراسات تتصل بالشيخ محمد عبده وآثاره من غير الناحية التي كان السيد رشيد يقصر نظره عليها ، وشارك في ذلك طائفة من المستشرقين . لكن هذه الدراسات لم تُعَدِّ في جملتها أن تكون محاولات متفرقة وأن يكون حظ الأدب فيها أكبر من حظ التعمُّق في البحث والاستقصاء في المراجع الآخذة في الازدياد .

ولقد رأيتك تتخذ من الأستاذ الإمام موضوع دراسة تحفز لها كل همتك ، وتقبل عليها بكل قلبك ، وشهدت بعض عنائك في تتبع المراجع وتمحيص النصوص ، واستقراء الآثار ، وحسن الانتفاع بذلك كله في الاستنتاج والحكم . ثم قرأت رسالتك لما أتممتها ، وكنت حاضراً مناقشتها حين تقدمت بها لنيل الدكتوراه ، فكنت من أشد الناس سروراً بك وإعجاباً بمصنفك الممتاز الذي

يبرز صورة للشيخ محمد عبده صادقة وناطقة ، ويحيط بكل الجوانب من نشاطه الإصلاحى المتراعى الأطراف ، ويعرض أنظاره الفلسفية فى اتساق ووضوح وحسن طريقة . وإن كتابك ليسد ثغرة فى الدراسات المتصلة بالشيخ محمد عبده ، وفى الدراسات المتصلة بتاريخ نهضتنا الفكرية والاجتماعية الحديثة من ناحية أثر الشيخ محمد عبده فيها .

ونود من جانبنا أن نشير إلى أن الشيخ مصطفى عبد الرازق ^(١) قد درس على يد الإمام محمد عبده الذى كان يلقى الدروس بجامع الأزهر ، ويمكننا القول بأن مصطفى عبد الرازق قد استفاد من دروس الإمام محمد عبده ، فهما يمثلان انفتاحاً على الفكر الغربى ، وكلاهما يمثلان اهتماماً بفكرنا العربى وتراثه ، وكلاهما يهتم بالفلسفة سواء تمثلت فى علم الكلام أو تمثلت عند الفلاسفة العرب أمثال الكندى والفارابى وابن سينا . لقد استطاعا المزج بين الفكر العربى من جهة وحضارة الغرب من جهة أخرى . إنهما لم يتمسكا بالتراث لمجرد أنه تراث بحيث يرفضان حضارة الغرب وعلومه وفلسفته ، إنهما لم يسخرنا من التراث لمجرد أنه قديم ، بل إنهما من خلال الكتب العديدة التى تركاها لنا يمثلان - كما قلنا - فى فكرهما ومنهجهما الأخذ من الغرب إذا لم يتعارض الفكر الغربى مع تراثنا الأصيل . ومن يقرأ كتاب مصطفى عبد الرازق « تمهيد فى تاريخ الفلسفة الإسلامية » وكتاب الإمام محمد عبده « الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية » يلاحظ أنهما عرفا معرفة دقيقة إلى حد ما آراء الغربيين واتفقا معهم تارة واختلفا معهم تارة أخرى .

بل إننا إذ قلنا إننا نهتم الآن بقضية الأصالة والمعاصرة ، بقضية التنوير ، بقضية العقل والتراث فى عالمنا العربى من مشرقه إلى مغربه ، فإننا نجد عند كل من محمد عبده ومصطفى عبد الرازق الذى استفاد من دروس الإمام محمد

(١) راجع الفصل الذى كتبناه عن الشيخ مصطفى عبد الرازق وركزنا فيه على تأثيره بالشيخ محمد عبده ، وذلك فى كتابنا: العقل والتنوير فى الفكر العربى المعاصر ، ص ٢٤٩ وما بعدها .

عبده ، نجد عندهما مساهمة في حل تلك المشكلة ، مشكلة الأصالة والمعاصرة ، وإذا قلنا بالأصالة والمعاصرة فقد قلنا بالتراث وقلنا أيضاً بحضارة الغرب وعلومه . إن الجمع بين الأصالة والمعاصرة يعنى عدم رفض التراث لأنه يمثل تاريخنا ، يمثل واقعنا المشرق ، كما يعنى الجمع أيضاً عدم رفض حضارة الغرب ، بل الأخذ منها بما يتفق مع تراثنا .

إن الدارس والمحلل لكتابات مصطفى عبد الرازق يتأكد له كيف استطاع الجمع بين القديم والجديد ، الجمع بين التراث من جهة ، والحضارة الحديثة بعلومها وفنونها وفلسفاتها وآدابها من جهة أخرى .

وإذا كان مصطفى عبد الرازق قد حاول - جهده - الجمع بين القديم والجديد متأثراً في ذلك بالشيخ محمد عبده ، فإنه مما لا شك فيه كان مستفيداً أيضاً من دراسته بفرنسا . لقد سافر إلى فرنسا عام ١٩٠٩ م والتحق بالسوربون ، وتوفرت له الاستفادة من المحاضرات التي كان يلقيها إميل دوركايم ، وهو من أشهر العلماء في عصره ، وكتبه ودراساته تعد أبلغ شهادة على المكانة العلمية التي يحتلها هذا العالم الفرنسي في مجال علم الاجتماع بصفة خاصة والدراسات الإنسانية بصفة عامة ، وكان أيضاً متأثراً بالشيخ محمد عبده .

وما يهمننا في هذا المجال الذي نتحدث عنه في دراستنا هذه ، مجال ريادته للفلسفة في عالمنا العربي المعاصر ، هو القول بأن الشيخ مصطفى عبد الرازق كان أول أستاذ مصري يلقي محاضرات في موضوع الفلسفة الإسلامية ، وذلك في الجامعة المصرية التي أنشئت بالقاهرة عام ١٩٢٥ م وأصبح اسمها الآن جامعة القاهرة .

يقول الدكتور إبراهيم بيومي مذكور في مقالة له عن الشيخ مصطفى عبدالرازق : لقد التف حوله في كلية الآداب بجامعة القاهرة نفر من صفوة الطلاب لفنهم درسه ، وعوّدهم على منهجه ، ففهموا ذلك كله ووعوه ، وكانت

له عناية خاصة بالنصوص وشرحها ، وتلك سُنَّةُ أزهرية قديمة ومتبعة إلى اليوم في الجامعات الكبرى بأوروبا وأمريكا ، ويظهر أن جامعاتنا في أعدادها الكبيرة وزحامها الشديد أصبحت لا تعيرها كل ما تستحق من عناية . واستطاع مصطفى عبد الرازق بطريقته أن يجلب تلاميذ المدارس الثانوية في الكتب الصفراء ، وأن يفتِّح أعينهم على مراجع الثقافة الإسلامية المختلفة .

لقد جمع الشيخ مصطفى عبد الرازق بين مجال الفكر الفلسفي والفكر الديني والفكر الأدبي كما فعل الشيخ محمد عبده . لقد درس الكثير من الشخصيات معتمداً في دراسته على النصوص التي تركتها لنا هذه الشخصيات . وهذا المنهج فيما أرى يعد منهجاً غاية في الدقة والعمق . لقد عرَّفَ بشخصيات من أمثال الكندي والفارابي والليث بن سعد والبهاء زهير وفخر الدين الرازي ، بل اهتم بفكر المعاصرين من أمثال الشيخ محمد عبده كما قلنا ، وذلك بأن أسهم في ترجمة رسالة التوحيد إلى اللغة الفرنسية ، وهي من الرسائل المهمة التي تركها لنا محمد عبده .

قلنا إن الشيخ مصطفى عبد الرازق لم يقتصر على جانب التدريس الأكاديمي بالجامعة ، بل قام بالكثير من أوجه النشاط الاجتماعي والسياسي ، كما هو الحال بالنسبة للشيخ محمد عبده ، لقد تم اختياره وزيراً للأوقاف ، وظل يقوم بهذا المنصب لمدة ست سنوات على وجه التقريب منذ عام ١٩٣٨ م إلى عام ١٩٤٤ م.

ونجد عند مصطفى عبد الرازق حساً نقدياً تمثَّل في نقده لبعض آراء ابن تيمية . ونقول من جانبنا أننا لا يمكن أن ننسى أن ابن تيمية يمثل فكراً رجعياً مغلقاً، لقد هاجم منطق اليونان وفلسفتهم ، وقد جانبه الصواب في ذلك ، فهو يقول إن العلوم الفلسفية إذا كان لها أثر في تفكير شيخ الإسلام ابن تيمية فإن تفكيره أحياناً لا يستوفي التمحيص الفلسفي ، ومصطفى عبد الرازق يستدل على ذلك ببعض العبارات الموجودة في كتاب ابن تيمية « الفرقان بين أولياء

والواقع أننا لا نجد عند مصطفى عبد الرازق الحس النقدي في هذا الكتاب وحده ، بل نجده في سائر كتبه الأخرى ، فله كتاب صدر في سلسلة أعلام الإسلام عام ١٩٤٥ م عن الإمام الشافعي ، ويقول طه حسين في المقدمة التي كتبها لكتاب « من آثار الشيخ مصطفى عبد الرازق » عن هذا الكتاب - كتاب الشافعي - : لقد جرّه الوفاء للشافعي - رحمه الله - إلى استكشاف مذهب جديد في الفلسفة الإسلامية له حظه العظيم أن عرف تلاميذه كيف يتعمقون وينتهون إلى غايته .

والواقع أن مصطفى عبد الرازق قد ترك لنا أكثر من كتاب في مجال الفقه ومجال الفلسفة ومجال الأدب ، من بينها كتابه عن محمد عبده ، وكتابه عن البهاء زهير ، وأيضاً مقدماته الرائعة لكثير من الكتب من بينها مقدمة لكتاب « الإسلام والتجديد في مصر » تأليف تشارلز آدمز وترجمة عباس محمود ، ومقالات عديدة عن محمد عبده ، وعن الصوفية والفرق الإسلامية ، وهي المقالة التي ألقاها في مؤتمر تاريخ الأديان الذي عقد في لندن عام ١٩٣٢ م... إلى آخر هذه المقالات والدراسات التي تثبت ريادته للفلسفة في عالمنا العربي المعاصر ، فكم الأفكار التي نجدها في هذه المقالات موجهة للباحثين في الفلسفة العربية إلى البحث في كنوز تراثنا الفلسفي العربي .

كما ناقش مصطفى عبد الرازق آراء بعض الإسلاميين الذين ميزوا بين العرب وغيرهم من الشعوب ، وذلك في مجال التفلسف ، ومن هؤلاء صاعد الأندلسي في كتابه « طبقات الأمم » ، والشهرستاني في كتابه « الملل والنحل » ، وابن خلدون في مقدمته . وكان قد سبق له مناقشة آراء بعض المستشرقين ، وذلك في كتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » .

(١) من الضروري أن أشير إلى أن إحدى الدول الرجعية رفضت نشر مقالة لي عن مصطفى عبد الرازق بسبب موقفه وموقفى من ابن تيمية.

والواقع أن كتاب مصطفى عبد الرازق «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية» . رغم أنه يغلب عليه الدفاع الخطابي باستمرار عن الفلسفة العربية ، وعدم التنبيه إلى بعض الأخطاء التي نجدها من جانب بعض الفلاسفة العرب ، أقول إن كتابه هذا يعد ثرياً ثراءً لا حد له بالمناقشات الفلسفية ، إنه يتحدث من خلال فصول الكتاب العديدة عن تعريف الفلسفة وتقسيماتها عند الإسلاميين ، كما يتحدث عن بداية التفكير الفلسفى الإسلامى وعن النظريات المختلفة فى الفقه الإسلامى وتاريخه ، وعن القياس والاجتهاد والرأى ، كما نجده يحلل فى دقة كبيرة تاريخ علم الكلام وتعريفه ، ويتحدث عن العقائد الإيمانية فى عهد الرسول ﷺ ، وعهد الخلفاء الراشدين ، وعهد الأمويين ، وعهد العباسيين .

إن هذا الكتاب كان بمثابة الدليل والموجه والرائد لطلاب الفلسفة والباحثين فيها ، وأصبح لا غنى عنه من قريب أو من بعيد للمهتمين بفكرنا الفلسفى العربى والإسلامى ، وحتى أيامنا المعاصرة رغم أنه صدر منذ أكثر من خمسين عاماً .

إن الباحثين فى مجال الفلسفة فى أرجاء وطننا العربى كله من مشرقه إلى مغربه لا يمكنهم نسيان الجهد الكبير الذى قام به الشيخ مصطفى عبد الرازق ، لا يمكنهم نسيان دعوته إلى الحرية من خلال العديد من مقالاته وما أكثرها ، لا يمكنهم التغافل عن كتاباته التى يبين لنا فيها أثر الإيمان فى تقدم الشعوب ونهضتها . لقد كان أستاذاً بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ ودلالات وما أعظمها ، وكان رائداً بكل ما يحمله حلمه الرائد من مغزى يعد عميقاً غاية العمق . لم يكن غريباً إذن - وهو من رواد الفلسفة فى عالمنا العربى المعاصر - أن يقوم كثير من الدارسين بتأليف رسائل علمية عنه ، وأن يقوم الكثير من مريديه بكتابة العديد من المقالات التى تحلل زوايا فكره الفلسفى والاجتماعى والأدبى .

إنه إذا كان قد رحل عنا إلى عالم الخلود ، فإنه باقٍ بترائه الفكرى الفلسفى وما أعظمه ، باقٍ بدوره فى مجال الإصلاح الاجتماعى الرائد ، وقد استحق بذلك

كله أن يدخل في تاريخ فكرنا العربي المعاصر من أوسع أبوابه كرائد للفلسفة في عالمنا العربي .

أما عن مناقشاته لآراء المستشرقين الغربيين ، فإنها تظهر من خلال أكثر من كتاب من كتبه ، من بينها كتابه « الدين والوحى والإسلام » وما زلنا نحن الباحثين نعتمد على دفاعه عن الدين الإسلامى وعن الوحى ، وذلك في مواجهة بعض المستشرقين الذين لا تخلو بعض آرائهم من نوع من التعصب والتسرّع .

يضاف إلى هذا الكتاب كتاب آخر نجد فيه أوفى بيان لآراء المستشرقين حول الفلسفة العربية وموقف مصطفى عبد الرازق من هذه الآراء ، كتاب احتل في فكرنا الفلسفى المعاصر أهمية كبيرة ، كتاب طبع أكثر من مرة ويناقد العديد من القضايا التى ما زالت تحتل أهمية كبيرة عند الدارسين الجادين فى مجال الفلسفة الإسلامية ، هذا الكتاب هو « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » .

لقد ناقش مصطفى عبد الرازق بعمق العالم وهدوء صاحب الحس الفلسفى الكثير من الأحكام التى قال بها أنصار التفرقة بين الجنس السامى والجنس الآرى ، هؤلاء الذين ذهبوا إلى أنه ليس فى طبيعة العرب لأنهم من الجنس السامى التفلسف وإبداع المذاهب الفلسفية ، وذلك على العكس من الأوربيين الذين يرجعون إلى الجنس الآرى ، فهم وحدهم أصحاب المذاهب الفلسفية .

إن بعض المستشرقين الذين يؤكدون على طبيعة التفرقة بين الجنس السامى والجنس الآرى قد ذهبوا إلى أن فلاسفة الإسلام وقد اعتنقوا الدين الإسلامى ، فإن كتابهم المقدس - أى: القرآن - يعوق العمل عن التفكير الحر ، ومنهم من يرى أن فلاسفة الإسلام قد تأثروا بفلاسفة اليونان تأثراً كبيراً ، بحيث إن فلسفتهم لا تخرج عما أبدعه فلاسفة اليونان من مذاهب ، وخاصة أرسطو وأفلاطون .

يقول رينان Renan فى كتابه عن « ابن رشد والرشدية » معبراً عن هذه التفرقة بين الجنس السامى والجنس الآرى : لا يمكننا أن نجد عند الجنس

السامى من مذاهب فلسفية ، إذ أن هذا الجنس لم يترك بحثاً فلسفياً خاصاً به ، بحيث إن الفلسفة عند المسلمين ما هى إلا مجرد اقتباس وتقليد للفلسفة اليونانية .

لقد ناقش مصطفى عبد الرازق آراء الغربيين الذين أصدروا مجموعة من الأحكام على فلاسفة العرب وفلسفاتهم ، وذلك بعد أن قام بعضهم بعرض أحكامهم أولاً ، وقد انتهى مصطفى عبد الرازق إلى رفض تلك الأحكام . ولا نشك في أنه كان متأثراً بالشيخ محمد عبده .

لقد فند مصطفى عبد الرازق آراء الغربيين من أمثال تنهان Tennemann وكوزان Cousin ورينان Renan ودوجا Dogat ومونك Munk وجوتيه Gauthier .

ولكن هذا كله لا يجب أن ينسبنا مجموعة من الأخطاء التى وقع فيها مفكرنا مصطفى عبد الرازق ؛ إن أحكامه على المستشرقين لا تخلو من قسوة ، وأقول من جانبى إن العديد من أحكام المستشرقين تعد صائبة تماماً ، وليتنا نفعل مثل ما فعل المستشرقون ، ولكن يبدو أنه كان متأثراً بردود الشيخ محمد عبده على هانوتو وزير الخارجية الفرنسى الأسبق .

يضاف إلى ذلك أننا نرى أن الشيخ مصطفى عبد الرازق حين رأى إدخال علم أصول الفقه داخل إطار الفلسفة العربية ، فإن هذا رأى من جانبه يعد خاطئاً قلباً وقالباً ، وقد أدى رأيه إلى كثير من الكوارث الفادحة ، أى : إلى عدم فهمه لحقيقة الفكر الفلسفى ، وأدى إلى إدخال اتجاهات أصولية إرهابية داخل إطار الفلسفة ، والفلسفة منها براء . لم يضع الشيخ مصطفى عبد الرازق في اعتباره أن خصائص الفكر الفلسفى تختلف اختلافاً رئيسياً عن خصائص الفكر الدينى ، لم يضع في اعتباره أن علم أصول الفقه لا صلة له بالفلسفة من قريب أو من بعيد . وقد تكون النشأة الدينية لمصطفى عبد الرازق بالإضافة إلى منصبه الدينى قد أدت إلى هذا الرأى الخاطئ ، والذي يقلل من أهمية الرؤية التنويرية عنده ، وهذا ما وجدناه عند الشيخ محمد عبده ، وبحكم منصبه الدينى أيضاً .

وننتهى من هذا إلى القول بأن أثر الشيخ محمد عبده في مصطفى عبد الرازق كان واضحاً إلى حد كبير ، سواء من حيث الموضوعات التي بحثها أو من حيث منهجه أيضاً .

يقول الدكتور عثمان أمين في كتابه عن الشيخ محمد عبده : ما نظننا مسرفين حين نلاحظ أن هذه الفضائل النادرة التي جعلها « المعلم الثانى » صفات للفيلسوف الكامل ، قد تحققت في أجلى صورها عند أستاذنا مصطفى عبد الرازق . وإذا كان محمد عبده قد استحق أن يكرّمه تلاميذه ومريدوه فوصفوه بصفة « الأستاذ الإمام » فقد استحق مصطفى عبد الرازق من جميع من عرفوه أن يلقبوه باللقب الذى ارتضاه الفارابى وهو « الفيلسوف الكامل »^(١) .

ونجد من المناسب أن نذكر أن ممن أشادوا به وتأثروا بصورة أو بأخرى الدكتور إبراهيم بيومى مذكور الذى كان رئيساً لمجمع اللغة العربية بمصر ، وأذكر أنه كان متحمساً للغاية حين علم أن المجلس الأعلى للثقافة قد قرر إصدار مجلد تذكارى عن الشيخ الإمام محمد عبده تحت إشرافى ، وقد أسهم في هذا المجلد بمقالة بعنوان « محمد عبده الإمام »^(٢) تحدث فيها عن جانب من حياته وقيامه بالتدريس في مدرسة دار العلوم (كلية دار العلوم حالياً) وخاصة أن الدكتور إبراهيم بيومى مذكور قد تخرج في هذه الكلية بعد وفاة الشيخ محمد عبده بحوالى عشرين عاماً . كما تحدث أيضاً عن منهجه وبعض بصماته في مجال الفكر الإسلامى ، وحديث الدكتور إبراهيم بيومى مذكور يدلنا على إعجاب من جانبه بالشيخ الإمام محمد عبده . استمع إليه أيها القارئ وهو يقول في مقاله التى أشرنا إليها منذ قليل^(٣) .

لقد كان قدوة وإماماً حقاً منذ نشأته ، وعلى مدى حياته ، وإن لم يُعمر طويلاً ،

(١) كتاب رائد الفكر المصرى ص ٢٢٦ .

(٢) الكتاب التذكارى عن الشيخ محمد عبده - إشراف وتصدير : عاطف العراقى ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٣) راجع الفصل الذى كتبناه عن الدكتور إبراهيم بيومى مذكور في كتابنا : البحث عن المعقول في الثقافة العربية .

كان قدوة في سلوكه وعمله ، وإماماً في بحثه ودرسه ، وموجَّهاً في اجتهاده ورأيه، ومرشداً في إصلاحه ونصحه .

ففى صباه لم يقنع بكتّاب قريته ، واتجه نحو معهد طنطا ، ولم يركن إليه طويلاً، وفارقه إلى المعهد الأم بالجامع الأزهر ، وهنا تبدو شخصيته واستقلاله فى سنّه المبكرة ، فلم يقنع بالعلوم الدينية واللغوية ، بل أضاف إليها العلوم الطبيعية ، وما استطاع أن يصل إليه من مستحدثات الحضارة الغربية ، ولم تكن حياته الأزهرية هادئة الهدوء الذى ينشده ، وذلك لأنه ما كان يتردد فى أن يعارض ويناقش ، مما دفع أساتذته إلى أن يطرده ويحرموه من الدرس ، ومع ذلك جاهد وناضل حتى حصل على شهادة العالمية .

وقدّر له بعدها أن يقوم بالتدريس فى مدرسة دار العلوم ، التى كانت عزيزة على نفسه ، كما كان يؤمن برسالتها فى خدمة اللغة العربية والنهوض بها ، ولا ننسى أن أسلوبه حديثاً وكتابةً كان مثلاً رائعاً للعربية المعاصرة ، التى غدّاها بقلمه كما غدّاها بدرسه وبحثه ، وهو بعد رفاعة الطهطاوى من أوائل الداعين إلى إنشاء مجمع لغوى يخدم اللغة ويطورها بحيث تفى بمتطلبات العلم والحضارة .

كما يتحدث الدكتور مذكور عن عمله بالصحافة فيقول : إنه فى كهولته اتجه مبكراً نحو الصحافة ، ويا له من صحفى قدير ، رسم بقلمه وفكره الإطار الملائم للصحافة المعاصرة ، وحاول أن يكتب فى الصحف اليومية ، وفى فترة متأخرة وكل إليه أمر « الوقائع المصرية » التى أصبحت على يديه صحيفة رأى وابتكار وتجديد ، خرج بها قطعاً عن مهمتها الأصلية ، وهكذا يكون الصحفى الرائد إذا ما أمسك القلم وهمّ بالكتابة . وله تجربة صحفية أخرى مع أستاذه جمال الدين الأفغانى فى صحيفة « العروة الوثقى » التى كنا نتمنى أن تستمر فى أداء رسالتها حتى اليوم ، ووضع دعائمها مع أستاذه ولكن روحه ومهارته الصحفية سلكت به مسلكاً آخر .

وينتقل الدكتور مذكور للحديث عن دعوته الإصلاحية والهدف منها ، فيقول: أما محمد عبده المصلح فدعواته كانت في أسسها وغاياتها للتجديد ومتابعة متطلبات العصر ومقتضياته . ويكفى أن نشير إلى أمر واحد كان له شأنه في نظام القضاء في مصر، ألا وهو إنشاء مدرسة القضاء التي أريد بها أن تخرج قاضياً ومشرعاً يفهم الشريعة الإسلامية على وجهها ويهيئها لسد متطلبات العصر والحضارة ، ولهذه المدرسة تاريخ رائع وإن كان قصيراً .

وكان هدفها الأول أن تطور طرائق التعليم الأزهرية ، وتنهج بها منهج البحث والتحقيق والتمحيص ، وقد خرّجت مفكرين وقضاة كان لهم أثرهم الكبير في نهضتنا الأدبية والعلمية المعاصرة ، وهنا حُرْمنا مرة أخرى من ثمرة من ثمار تفكير الإمام وإصلاحه ، وإن حاولنا أن نعود إليها في معاهدنا الأزهرية على صورة أخرى فيما يسمى كلية اللغة العربية وكلية الشريعة وكلية أصول الدين .

ثم يتحدث الدكتور مذكور عن تفسيره للقرآن الكريم وبعض مؤلفاته ، فيقول : إن محمد عبده المؤلف له مؤلفان يُعدّان قدوة في بابها ، ينصبُّ أولهما على تفسير « جزء عم » من القرآن الكريم ، وريادة محمد عبده وقيادته في هذا التفسير أنه وجّه النظر إلى الدلالة اللغوية أساساً ، وهو بهذا يحس إحساساً تاماً بشعور الصحابة والتابعين الذين نزل عليهم القرآن لأول مرة ، ولا يغلق الأستاذ الإمام باب المنقول ، ولكنه لا يسد أيضاً باب المعقول ، وكم وُفّق بنظرته العقلية إلى توضيح مواقف قرآنية توضيحاً تستريح له النفس ويطمئن القلب .

والمؤلف الثاني هو « رسالة التوحيد » وما أصدقها من رسالة وأدقها في العرض والتحليل ، وكم ألفت متون وشروح وحواش شعراً ونثراً حول العقيدة الإسلامية ، وسلامة المؤمن الصادق في أن تعرض عليه هذه العقيدة في صورة واضحة منسقة مقبولة ، وهكذا صنع الأستاذ الإمام في رسالة التوحيد ، وخيراً فعل تلميذه مصطفى عبد الرازق في ترجمتها إلى اللغة الفرنسية ، ولهذه الترجمة شأنها لدى الباحثين في الفلسفة الإلهية من الغربيين .

وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن شخصية أخرى من الشخصيات المعاصرة التي تأثرت بالإمام الشيخ محمد عبده ، وجدنا الدكتور عثمان أمين أستاذ الفلسفة المصرى (توفى عام ١٩٧٨ م) ، فلقد تأثر بالشيخ محمد عبده تأثراً بالغاً ، ونود أن نشير إلى اتجاه الدكتور عثمان أمين حين قال بـ «الجُؤَانِيَّة» فإن هذا الاتجاه من جانبه نجد فيه العديد من الجذور التي أخذها من الشيخ محمد عبده.

وما نود أن نشير إليه أن الدكتور عثمان أمين حين ألّف كتابه المهم عن الشيخ محمد عبده نجده يشئى - أثناء حديثه عن الشيخ الإمام - على جمال الدين الأفغانى ، وفي هذا الجانب نحن نختلف مع الدكتور عثمان أمين ، وحين طلب منى المجلس الأعلى للثقافة كتابة تصدير للطبعة الجديدة لكتاب رائد الفكر المصرى الشيخ محمد عبده ^(١) والذي كان قد أصدره الدكتور عثمان أمين منذ سنوات بعيدة ، أشرت إلى الاختلاف بين جوهر فكر الشيخ محمد عبده وفكر الأفغانى ، خاصة فى مجال الرؤية السياسية . وقد قلت فى تصديرى لهذا الكتاب:

إن الشيخ محمد عبده يعد خالداً بحسّ النقدى ، وباتجاهه التنويرى ، وسواء اتفقنا مع الرجل أو اختلفنا معه حول رأى أو أكثر من الآراء التى قال بها ، إلا أن الرجل قد وضع بصماته على مسار فكرنا العربى المعاصر . وحسناً فعل حين اختلف مع جمال الدين الأفغانى ، إننا إذا قارنّا بين الرجلين: الأفغانى من جهة ، ومحمد عبده من جهة أخرى ، فإن الخلود يكون للشيخ محمد عبده ، إذ كم نجد من أفكار رجعية تارة ، وظلامية تارة أخرى عند الأفغانى ، وإن كان أكثرهم لا يعلمون .

وخير صورة للاحتفال بمفكرنا الشامخ محمد عبده إنما تتمثل فى تذكير الناس بأفكاره ، وذلك عن طريق نشر كتبه التى قام بتأليفها ، وأيضاً إعادة طبع بعض الكتب المهمة التى تم تأليفها عنه .

(١) رائد الفكر المصرى الشيخ محمد عبده ، للدكتور عثمان أمين ، وتصدير : الدكتور عاطف العراقى - المجلس الأعلى للثقافة ، عام ١٩٩٦ م .

ومن هنا لم أتردد في كتابة تصدير لمؤلف أو أكثر من مؤلفات الإمام محمد عبده ، وأشعر بالسعادة أيضاً حين أكتب الآن تصديراً لكتاب مهم من الكتب التي تم تأليفها عن الشيخ محمد عبده ، وهو كتاب رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده ، والذي قام بتأليفه الأستاذ الدكتور عثمان أمين ، وهو من هو في مجال دراسة الفكر العربي المعاصر .

نعم رحبت بكتابة تصدير لهذا الكتاب المهم ، وذلك لأسباب عديدة من بينها أنه عن واحد من مفكرينا الكبار ، عن الشيخ محمد عبده ، ومؤلفه يعد عالماً وعلماً بارزاً في سماء حياتنا الفكرية والفلسفية ، إنه عثمان أمين الذي تمتع طوال حياته بحس فلسفي من النادر أن نجد له مثيلاً بين أساتذة الفلسفة في مصر ، وكم كنت سعيداً حين كتبت عنه فصلاً في كتابي « العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر » وحين أهديت له كتاباً من كتبي وهو كتاب « تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية » . إن كتاب الدكتور عثمان أمين عن رائد الفكر المصري الشيخ محمد عبده ، يعد كتاباً بالغ الأهمية ، إنه دراسة أكاديمية على مستوى رفيع ، بذل فيه أستاذنا عثمان أمين جهداً ضخماً استمر سنوات عديدة ، ورجع فيه إلى مئات المصادر والمراجع المهمة وعوّل بالدرجة الأولى على كتب ورسائل الإمام ، إنه كتاب يكشف عن غزارة مؤلفه العلمية وأفق الواسع ، ومن الصعب أن نجد كتاباً عربياً عن الشيخ محمد عبده يقترب من كتاب الدكتور عثمان أمين .

صحيح أننا نختلف مع الدكتور عثمان أمين في بعض أحكامه عن آراء الشيخ الإمام ، ونختلف معه في بعض جوانب منهجه الذي على أساسه قام بدراسة آراء الشيخ الإمام محمد عبده .

فإذا وجدنا الدكتور عثمان أمين يرى أن محمد عبده يعد فيلسوفاً ، فإننا نقول من جانبنا إنه لا يعد فيلسوفاً ، لقد انقطع وجود فلاسفة العرب بعد وفاة الفيلسوف ابن رشد في العاشر من ديسمبر عام ١١٩٨ م ، ولا نجد فيلسوفاً

عريباً طوال ثمانية قرون وحتى الآن . ومن قبيل المبالغة أن نقول عن محمد عبده إنه يعد فيلسوفاً ، وإذا زعم أى فرد لنفسه أنه يعد فيلسوفاً ، فإن هذا الزعم يكون من قبيل الدعاية الجوفاء ، تماماً كالأقوال التى يزعم أصحابها أنهم أصحاب مشروعات فكرية ، وذلك كتعبير من جانبهم عن تضخم الأنا تارة والكذب على الناس تارة أخرى .

وإذا اتجه الدكتور عثمان أمين فى دراسته الرائعة عن الشيخ محمد عبده إلى الدفاع باستمرار عن الشيخ محمد عبده وآرائه ، فإن هذه النبذة الدفاعية قد تنسينا العديد من الأخطاء التى وقع فيها الشيخ محمد عبده من حيث المنهج تارة ، والموضوع تارة أخرى . ومعنى هذا أننا يجب أن ننظر إلى الشيخ الإمام على أساس أنه من البشر ، وليس قديساً ، لقد قال الشيخ محمد عبده بالعديد من الآراء الإيجابية ، وما أكثرها ، ولكن هذا لا يجب أن ينسينا بعض الأخطاء التى وقع فيها .

ولكن هذا كله لا يقلل من أهمية الدراسة التى قدمها لنا الدكتور عثمان أمين . لقد أخلص لدراسته إخلاصاً بغير حدود ، وإذا كان قد أُعجب بالشيخ محمد عبده ، فإن هذا من حقه ، فالشيخ الإمام وخاصة إذا نظرنا إليه فى إطار الفترة الزمنية التى عاش فيها ، له العديد من الآراء الإيجابية ، الآراء التى قصد منها نشر النور والضياء ، وإذا قلنا بالنور فقد قلنا بالوجود والحياة ، أما إذا قلنا بالظلام فإن هذا يعنى العدم والفناء ، ألم يقل ابن سينا فيلسوف المشرق العربى الكبير فى دعائه الله تعالى : فالق ظلمة العدم بنور الوجود ؟ إن هذا إن دلنا على شىء فإنه يدلنا على ارتباط العدم بالظلام ، وارتباط الحياة والوجود بالنور . إنها سُنَّة الله تعالى فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

لقد كان الشيخ محمد عبده من أبرز دعاة التجديد الفكرى والدينى فى عصره ، وقد بذل فى سبيل ذلك جهداً ، وجهداً كبيراً ، وخاض العديد من المعارك الفكرية ، لأنه قال بأفكار حية كما قلت ، ولم يكن من القائلين بأفكار

ميتة ، لقد دخل في صميم المشكلات الاجتماعية والفكرية ، ولم يكن متفرجاً من الخارج ، ولم يرتض لنفسه أن يجلس في الخارج متفرجاً ، أى : يجلس في الفناء ، ولو كان قد جلس في الفناء لكان قد أدركه الفناء ، أما وقد خاض بشجاعة و يقين ونبيل وإخلاص العديد من المعارك بحثاً عن التجديد والتنوير وسعياً من جانبه نحو الضياء ، نحو كل قيمة خالدة في حياتنا ، والحياة الإنسانية ، فإن واجبنا - إذن - الاحتفال بالرجل وأفكاره ، ومن حقنا أن نفخر به كمصري وعربي نشر النور والضياء .

نعم إنه واجب علينا دراسة أفكاره ، وما أعظمها وما أروعها ، وخاصة إذا قارنا بينها وبين ما يتردد الآن من أفكار ظلامية تارة وإرهابية تارة أخرى ، يجب علينا دراسة أفكاره حتى لا يزعم البعض أننا جيل بلا أساتذة .

من هنا كان من واجبنا - بالإضافة إلى الاحتفال بالشيخ الإمام محمد عبده - الثناء على الجهد الرائع الذى قام به الدكتور عثمان أمين من خلال كتابه عن محمد عبده ، إنه ينتقل من دراسته لرأى من آراء الإمام إلى تحليل رأى آخر من آرائه فى ثقة و يقين . وواثق الخطوة يمشى ملكاً ، وكتابه عن الشيخ الإمام محمد عبده يعد كتاباً مفيداً غاية الإفادة . ونحن أقرب إلى القول بأن أية دراسة عربية عن الشيخ محمد عبده فى المستقبل لن يكون بإمكانها التغافل عن الدراسة القيّمة التى كتبها الدكتور عثمان أمين .

لقد كتب الشيخ مصطفى عبد الرازق مقدمة لكتاب الدكتور عثمان أمين الذى نحن بصدد الحديث عنه ، فقال فى مقدمته مخاطباً الدكتور عثمان أمين : لقد كنت من أشد الناس سروراً بك وإعجاباً بمصنفك الممتاز الذى يبرز صورة للشيخ محمد عبده صادقة وناطقة ، ويحيط بكل الجوانب من نشاطه الإصلاحى المترامى الأطراف ، ويعرض أنظاره الفلسفية فى اتساق ووضوح وحسن طريقة ، وإن كتابك ليسد ثغرة فى الدراسات المتصلة بالشيخ محمد عبده ، وفى

الدراسات المتصلة بتاريخ نهضتنا الفكرية والاجتماعية الحديثة من ناحية أثر الشيخ محمد عبده فيها .

أقول وأكرر القول : إننى لا أتردد فى الثناء على الشيخ محمد عبده وفكره الثاقب فى الكثير من جوانبه ، ويكفى أنه كان من أنصار الدعوة إلى النور ولم يكن من خفافيش الظلام وأشباه المثقفين . ومن أجل القيم فى حياتنا قيمة الوفاء ، فمن واجبنا - إذن - دراسة أفكار الشيخ محمد عبده والتى بذل جهداً كبيراً فى سبيل التوصل إليها . لقد مات الرجل ولكن الخلود يكون لفكره ، يكون للقيم الرائعة التى دعانا إليها حتى دخل تاريخنا الفكرى المعاصر من أوسع الأبواب وأرحبها .

وإذا كنا قد أشرنا منذ قليل إلى تأثير الدكتور عثمان أمين سواء من حيث المنهج ، أو من حيث طبيعة الموضوعات التى اختارها للكتابة فيها ، وأيضاً حين قال بـ « الجُؤَانِيَّة » فإننا لا بد أن نقف وقفة أطول عند الدكتور عثمان أمين^(١) وقد قال عنه الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة يوم تأيينه : إن الواقع يقتضينا أن نسجل أنه بحق من بناء الفكر الفلسفى المصرى المعاصر ، لقد كوّن جيلاً من الباحثين والدارسين وزوّد المكتبة العربية بزايد وفير سيبقى على الدهر .

والواقع أن الدكتور عثمان أمين بذل جهداً كبيراً فى مجال التأليف والترجمة والنشر . لقد كان يؤمن بأهمية الانفتاح على الفكر الغربى ، ولهذا نراه يقوم بترجمة أهم كتاب للفيلسوف الفرنسى ديكارت ، وهو كتاب « التأملات » ، ولهذا نراه يقوم بترجمة كتاب مشهور عن فلسفة الفيلسوف الألمانى (كانت) Kant . واهتمامه بالثقافة الفرنسية بصفة خاصة يعد واضحاً فى كتاباته وفى آرائه الفلسفية . لقد أعجب بالفيلسوف ديكارت إعجاباً كبيراً ، وألّف عنه كتابه المهم

(١) راجع الفصل الذى كتبناه عن الدكتور عثمان أمين ، وذلك فى كتابنا : العقل والتنوير فى الفكر العربى المعاصر ، ص ٣٨٧ - ٣٩٢ .

«ديكارت» وقد يعد هذا الكتاب أفضل كتاب تم تأليفه باللغة العربية عن هذا الفيلسوف الفرنسي .

وقد كتب عثمان أمين باللغة العربية بالإضافة إلى اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية ، وكان حريصاً على الكشف عن أهمية التراث العربي ، وقد يكون ذلك تأثراً من جانبه بالشيخ محمد عبده ، وهذا يتضح من قيامه بتحقيق كتاب إحصاء العلوم للفارابي ودراسة هذا الكتاب دراسة دقيقة ، بالإضافة إلى اهتمامه البالغ بالفيلسوف العربي ابن رشد ، وذلك من خلال قيامه بتحقيق نص مهم من نصوص ابن رشد وهو كتاب « تلخيص ما بعد الطبيعة » .

إن الاتجاه الذى نجده عند الدكتور عثمان أمين ، يمكننا أن نقول إنه قد استفاد العديد من جوانبه من الشيخ محمد عبده ، والفيلسوف الفرنسي ديكارت ، بالإضافة إلى الاتجاهات الروحية والمثالية والصوفية .

ونود أن نشير إلى بعض آرائه ، والتى تبين كيف كان عثمان أمين مدافعاً - كما هو الحال عند الشيخ محمد عبده - عن الاتجاه التنويرى .

لقد دافع عثمان أمين عن الفلسفة وبين أهميتها ودورها فى المجتمع العربى المعاصر ، كما دافع الشيخ محمد عبده عن الاشتغال بالعلوم الكلامية ودعانا إلى فتح النوافذ على كل العلوم ، والفلسفة عنده ليست مجرد تأملات نظرية ، ولا يصح أن يعيش الفيلسوف فى برج عاجى معزولاً عن أحداث المجتمع ومعاشة مشكلاته الاجتماعية . ودعا إلى الحوار المستمر بيننا وبين الآخرين . لقد كتب عثمان أمين فى عام ١٩٦٠م مقالة بعنوان « مجتمعا فى حاجة إلى الفلسفة » قال فيها : لقد كان أفلاطون شيخ الفلسفة القديمة يقول إن الفلسفة يجب أن تكون حارساً للمدنية ، وكان ديكارت شيخ الفلسفة الحديثة يقول إن الفلسفة هى وحدها التى تميزنا عن الأقوام المتوحشين والهمج ، وإن حضارة الأمة وثقافتها إنما تقاس بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها ، ولذلك فإن أجل نعمة ينعم الله بها على بلد من البلاد هى أن يمنحها فلاسفة حقيقيين .

هذا دفاع قوى من جانب الدكتور عثمان أمين عن الفلسفة والتفلسف ، إن الفلسفة عنده قوة تاريخية حاسمة تقترن بكل تغيير يطرأ على الحضارة . إن الفلسفة عنده ترتبط بالوعى وضرورة العمل على إيقاظ وعى الإنسان العربى ؛ وهذا كان دافعاً له للاهتمام بمفكرين من أمثال جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى وغيرهم . لقد أصدر عثمان أمين فى عام ١٩٦٠م كتاباً بعنوان «رواد الوعى الإنسانى فى الشرق الإسلامى» ركز فيه على إبراز دور المفكرين فى قيادة حركة التحرير الفكرى فى العالم العربى وإيقاظ الوعى الإنسانى فى النفوس ، وتنبيه الناس إلى أهمية العمل بكل قوة على إيقاظ الشعور بالقيم والمثل العليا ، وإلى وجود العديد من الأخطار التى تحيط بالأمة العربية من الداخل والخارج .

وينظر عثمان أمين إلى القيم من خلال منظور إنسانى تنويرى ، فهو يرى أن الدعوة إلى الوعى الإنسانى لا بد من أن تسبق الدعوة إلى الوعى القومى .

يقول عثمان أمين مؤكداً على هذا المعنى فى كتابه «رواد الوعى الإنسانى»: إنك لا تستطيع أن تحرك فرداً من الأفراد إلى معنى أو عمل ينفع قومه ما لم تحرك فيه إنسانيته أولاً ، ولا ريب أن من لوازم الإنسانية الإيثارية والغيرية والعمل من أجل المجموع والتحرر من أسر الأنانية ، وكل دعوة قومية لا تعتمد على دعوة إنسانية يكون نصيبها الفناء ، فبالوعى الإنسانى ترسخ فى نفوس الناس المثل العليا والقيم الروحية والمعانى الجميلة .

ونجد الدكتور عثمان أمين يؤكد أهمية السلام بين المجتمعات والدول ، لقد ظهر ذلك واضحاً حين كتب فى الفلسفة السياسية ، وحين اهتم بترجمة كتاب للفيلسوف الألمانى (كانت) وهو كتاب «مشروع للسلام الدائم» .

هذه القيم الروحية والمثل العليا التى يركز عثمان أمين على الدعوة إليها ، إنما كان القصد منها الدعوة إلى ما ينبغى أن يكون . وهذه الدعوة نجدها فى اتجاه الفلسفة المثالية والروحية . ومن الواضح أن الدكتور عثمان أمين يتجه إلى

الفلسفات المثالية ، ومن هنا نراه ينقد العديد من الفلسفات المادية والوضعية المنطقية .

ويدعو عثمان أمين - كما دعانا الشيخ محمد عبده - إلى ضرورة الربط بين النظر والعمل ، بين الفكر والسلوك . إنه يدافع عن القيم الروحية وضرورة الالتزام بها في أعمالنا . نجد هذا واضحاً في كتابه عن الشيخ محمد عبده رائد الفكر المصرى ، ولعل إعجاب عثمان أمين بالشيخ محمد عبده سببه الأساسى - كما سبق أن أشرنا - أن محمد عبده يدعو إلى أهمية الربط بين النظر والعمل ، ويرى أن النظر وحده لا فائدة منه ، بل لابد من الالتزام بالأفكار في سلوك وعمل كل فرد من أفراد الإنسان .

والكتاب الرئيسى الذى تركه لنا عثمان أمين ، والذى يلخص أغلب جوانب فكره الفلسفى هو كتاب «الجوانية» الذى صدر عام ١٩٦٤م وفى الصفحات الأولى منه يحدد لنا عثمان أمين ما يعنيه بالجوانية ، فيقول : إن الجوانية اسم أطلقته منذ سنين على فلسفة اهتديت إليها بعد إطالة النظر فى أمور النفس ومتابعة التأمل فى بطون الكتب مع مداومة التعرض لتجربة الوقائع والمعاناة لشؤون الناس . والجوانية أصول عقيدة وفلسفة ثورة .. وقد نبتت هذه الفلسفة عندى من تأمل روح الدين والأخلاق . والعارفون يعلمون أن البيئة المصرية منذ أقدم تاريخ لها قد تميزت بخصائص بارزة هى سلطان الدين والأخلاق عليها . والمصريون كانوا منذ القدم موحدّين ، يؤمنون بإله منزّه عن مشابهة المخلوقات ، وتدل آثارهم على اعتقاد راسخ ببقاء النفس بعد مفارقتها للبدن ، وتشير حياتهم إلى ثقة تامة فى تحقيق العدل الإلهى ، وإلى تطلع دائم إلى ما وراء المحسوس ، وتمييز فطرى بين الخير والشر ، وتقدير أخلاقى للفضائل الاجتماعية العالية كالنجدة والمروءة والوفاء ، وقد أفصححت جوانية المصريين القدماء عن إشادتهم بالإيمان والإخلاص واستنكارهم للتظاهر والنفاق .

ويدرس عثمان أمين موضوع «الجوانية» من خلال أبواب وفصول كتابه الذى

خصّصه لشرح مذهبه في الجوانية ، فنراه يتحدث عن ملامح الفلسفة الجوانية وكيف كان متأثراً حين قال بالجوانية بأخلاق القرية التي نشأ فيها . كما يتحدث عن الجوانية في فلسفة اللغة العربية ، وفي الأخلاق الإسلامية ، والجوانية عند الغزالي وعباس محمود العقاد ، وكيف أن الدين هو البعد الجوانى للإنسان .

ويمكن القول بأن الجوانية إنما تمثل التركيز على الباطن أكثر من الظاهر ، فالعبرة بالقلب وإصلاح الروح . يقول عثمان أمين : إذا كان للرأس عيتان ، فللقلب عيون . وهذا يعنى أن لغة القلب أعمق من لغة الظاهر والشكل .

والواقع أن الدكتور عثمان أمين قد بذل جهداً كبيراً في مجال الربط بين الفلسفة وقضايا المجتمع ، إننا نجد هذا واضحاً في العديد من الكتب التي تركها لنا ، ومن بينها - بالإضافة إلى ما سبق أن ذكرناه - كتابه «نحو جامعات أفضل» وكتابه «دروس للشباب في سيرة الأستاذ الإمام محمد عبده» . وإذا كان قد تأثر في كتاباته ببعض الأفكار التي نجدها عند من سبقوه إلا أننا نجد العديد من العناصر الجديدة عند عثمان أمين ، سواء في محاضراته التي كان يلقيها على طلاب الجامعة أو في كتبه ، وما أكثرها وما أروعها ، والتي تدلنا على أنه كان يتمتع بحس فلسفى دقيق ، حس يركز على الداخل ، أى : الجوانى ، أى : القلبى والوجدانى المثالى .

تأثر عثمان أمين بالشيخ محمد عبده يعد تأثراً غاية في الوضوح والبروز .. استمع إليه أيها القارئ وهو يقول في تصديره لكتاب رائد الفكر المصرى^(١) : إن محمد عبده المصرى ، الذى عبّر أجلى تعبير وأنقاه عن روح أمتنا ومقومات شخصيتنا ، يعد بحق رسولاً من رسل الوعى الإنسانى ، فنحن إذ نحرص على التعريف به في مصر وخارجها ، نأمل أن نشارك جهد طاقتنا في إذاعة مذهبه الذى يمثل أجمل ما في الفكر الإسلامى الحديث ، وأبقى ما في الروح العربية التجديدية ، وأسمى ما في الوعى القومى المصرى .

(١) من ص ١٥ - ٢٠ .

ولا نزاع في أن للأستاذ الإمام أثراً عميقاً في النهضة الفكرية الحديثة التي قامت في مصر وفي أقطار الشرق العربي والإسلامي ، ولا يزال فكره ملهماً للحياة الروحية في بلادنا وفي أكثر البلاد الإسلامية ، وإن المتأمل المنصف لا بد أن يلاحظ أننا حين نستقصى الحركة الفكرية منذ أيام قاسم أمين وسعد زغلول إلى المفكرين المعاصرين من أمثال أحمد لطفى السيد وفريد وجدى ومصطفى عبد الرازق وعباس محمود العقاد وطه حسين وأحمد أمين وعلى عبد الرازق وحسين هيكل وخالد محمد خالد - نجد أنهم جميعاً على اختلاف نزعاتهم وتباين اتجاهاتهم ، لا يخلون من أن يكونوا متأثرين بآراء الأستاذ الإمام من قريب أو من بعيد .

ومن الحق أيضاً أن نقرر أن لتعاليم محمد عبده قيمة عملية ، فضلاً عما لها من قيمة تاريخية ؛ فإننا ما برحنا نلمس أثر الإمام قوياً ، لا في شئون الدين والأخلاق والتربية فحسب ، بل في مجالات الإصلاح الاجتماعى والسياسى فى مصر وفى بلاد العروبة والإسلام .

على أن شخصية محمد عبده شخصية فذة تزخر أصالة وعمقاً ، نشأت أولاً فى دائرة ضيقة ، هى دائرة الأدب والفلسفة ، ولكنها ما لبثت أن جاوزتها وامتد نشاطها إلى دوائر أوسع ، فاتصلت بالأحداث الدينية والاجتماعية والسياسية اتصالاً بلغ من بُعد مداه أن ألهب فى بعض النفوس مشاعر المحبة والحماسة والإعجاب ، وأيقظ فى بعضها الآخر نيران الحقد والعداوة والبغضاء ، وقد كان للأستاذ الإمام أصدقاء وتلاميذ كما كان له خصوم وأعداء ، ولكن لم يتح له إلا القليل من النقد وأهل الإنصاف ، ولا عجب فإن من قادة الفكر من يهز الآراء والمعتقدات هزاً عنيفاً يعسر معه على الناس أن يحكموا عليه منصفين ؛ ومن هنا كانت الصعوبة فى عرض آراء هذا المفكر على حقيقتها ، وتنقيتها مما علق بها من تأويلات مشهورة وخلافات لا تزال قائمة .

أما نحن فنرى أن «محمد عبده» قد أصبح فى عداد رجال الماضى المجيد ،

ومنزله عندنا في تلك الدائرة المضیئة ، دائرة المجد الحق الذى یبقى بعد هدوء العواصف وخلو النفوس من ثوران الحقد وانفعال الإعجاب ، ومن أجل هذا حاولنا بقدر ما فی طاقتنا أن نضع أنفسنا موضع المفكر نفسه ، لكى نفهم وجهة نظره هو ، لا لكى نبسط رأى الغير فيه .

وقد انتهجنا لذلك منهجاً قريباً من المنهج الفلسفى عند الفيلسوف المعاصر «هنرى برجسون» وهذا المنهج قوامه أن نبذل دائماً غاية الجهد للفهم الحدسى والتعاطف العقلى والمشاركة من الداخل . وهذا الجهد «الجوانى» هو عندنا ضرورى لكل بحث قويم ولكل ثقافة عميقة ولكل مسعى صادق ، وبدونه یمتنع على الباحث أيّاً كانت قدرته أن ینفذ إلى الشخصية التى یود أن یتعرف إليها ، أو أن يفهم الموضوع الذى یرید أن یعالجه فهماً كاملاً .

ومن أجل هذا تنحّينا قصداً عن طريقة قد یسلکها بعض المؤلفین : نراهم وهم فی مقام البسط والبیان ، یعرضون لأنظار المفكر ، فلا یتركون منها موضعاً إلا وقد أوسعوه طعناً وتجريحاً ! لیس ذلك منهجنا ، ولسنا نرى لذلك الصنيع نفعاً ، بل نحسب أن تاریخ فكر ما ، هو نفسه عبارة عن نقد ضمنى للمذاهب الفكرية السابقة علیه . وإذن : فما قد كان حقاً فی أنظار محمد عبده قد أضحى - من حیث لا ندرى - عنصراً من عناصر ذلك التراث الروحى الذى یمتلكه كل مصرى ، بل كل عربى أوتى حظاً من الثقافة فی زماننا هذا ! وما كان باطلاً فیها فشأنه فی الغالب أن یمهل وأن یطرح شیئاً فشیئاً . إذن : فلسنا نرى وجهاً ولا حاجة إلى تخصيص صفحات من هذا البحث لنقد نظرات الأستاذ الإمام فی الفلسفة أو فی الدین أو فی الاجتماع . ولكن الواجب یدعوننا أن نوضح أن هذا الموقف الذى ارتضيناه من أول الأمر لم یمنعنا من النهوض - عند الاقتضاء - للدفاع عن رائد الفكر المصرى فی كل ما یمكن أن یمکن أن یمکن القصد منه المساس بشخصه أو الانتقاص من قدره أو التحریف لآرائه .

لقد تبین لنا - إذن - كيف كانت آراء ومنهج الشيخ محمد عبده مؤثرة على

فكر الدكتور عثمان أمين ، ليس في قوله بالجوانية فحسب ، بل في المنهج الذي آثره وهو يدرس هذه الشخصية أو تلك من الشخصيات الفكرية والفلسفية .

ونقول من جانبنا - بعد أن وقفنا وقفات طويلة تارة وموجزة تارة أخرى عند من أثر فيهم الشيخ محمد عبده - إن هذا إن دلنا على شيء فإنما يدلنا على الأثر الكبير الذي تركه الشيخ محمد عبده في فكر ومنهج أناس سواء اتفقوا معه تارة أو اختلفوا معه تارة أخرى .

* * *

obeikandi.com

خاتمة

نقول بعد دراستنا للحياة الفكرية للشيخ محمد عبده ، وتحليل أكثر آرائه في مجالات دينية وفكرية شتى : إن هذه الشخصية قد كانت لها بصماتها القوية والبارزة في تيار الفكر الدينى والإصلاحى التجديدى .

إنه من الصعب أو المستحيل تماماً أن نتخطى الآراء التى قال بها الشيخ الإمام محمد عبده ، أو أبعاد المنهج الذى التزم به إلى حد كبير ، سواء فى آرائه الفكرية النظرية ، أو بالنسبة لنشاطه العملى الإصلاحى ، وخاصة أنه كان - وكما سبق أن أشرنا أكثر من مرة - شعلة نشاط ، لا يكل ولا يمل منذ السنوات الأولى لحياته الفكرية ، وحتى اللحظات التى سبقت موته .

ومن واجبنا دراسة آرائه وأفكاره ، لنأخذ منها ما نأخذ ، ونرفض منها ما نرفض ، وخاصة أنه قد مر علينا قرن من الزمان بعد وفاته ، وتغيرت بعض الظروف والأحوال ، ووجدنا مستجدات جديدة فى تيار حياتنا التى نحياها فى أكثر بلدان العالم العربى ، إن لم يكن فى الدنيا كلها .

ومن واجبنا أيضاً أن ننظر إليه كفرد من أفراد البشر ، معرض للصواب تارة ، والوقوع فى الأخطاء تارة أخرى ، ولكن كل ما نرجوه بعد أن عايشنا فكره التجديدى ورؤيته الإصلاحية سنوات وسنوات ، وكما أشرنا فى السطور الأولى من تصديرنا لهذا الكتاب ، أن نتأمل طويلاً فى نشاطه الفكرى النظرى ونشاطه العملى الإصلاحى . ولعل هذا التأمل الطويل يؤدى بنا إلى أن يكون حاضرننا أفضل من ماضينا ، ويكون مستقبلنا أفضل من حاضرننا ، وخاصة أننا نعتقد - من جانبنا - أن الثقافة والفكر إنما يُعدَّان الركيزة الأولى لكل تقدُّم فى الحاضر

والمستقبل ، بل إن هذا هو ما يفرّق بين بلدان متخلفة وأخرى متقدمة ، يفرّق بين أمم تريد لنفسها الصعود إلى الهاوية وبئس المصير ، وشعوب ترى أن الفكر يعد قوة ، وأن الثقافة تعد مسألة مصير ، فالتجديد يعد معبراً عن قضية محورية: نكون .. أو لا نكون .

* * *

المصادر والمراجع

أولاً: كتب ورسائل للشيخ محمد عبده :

- ١ - الإسلام دين العلم والمدنية . تحقيق ودراسة نقدية : عاطف العراقي . دار الوفاء بالإسكندرية . سنة ٢٠٠٤ م .
- ٢ - رسالة التوحيد . تصحيح وتعليق : رشيد رضا . الهيئة العامة لقصور الثقافة . القاهرة . تصدير : عاطف العراقي .
- ٣ - حاشية الشيخ محمد عبده على شرح الدواني لكتاب العقائد العضدية لعبد الدين الإيجي . المطبعة الخيرية . القاهرة .
- ٤ - العروة الوثقى . طبعة بيروت . عام ١٩٢٣ م . تقديم: مصطفى عبد الرازق .
- ٥ - شرح كتاب نهج البلاغة . طبعة القاهرة .
- ٦ - تقرير في إصلاح المحاكم الشرعية . القاهرة .
- ٧ - شرح كتاب البصائر النصيرية (كتاب في المنطق) تأليف عمر بن سهلان الساوى . القاهرة .
- ٨ - الإسلام والرد على منتقديه . تأليف مشترك . القاهرة .
- ٩ - أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني . تصحيح الشيخ محمد عبده .
- ١٠ - دلائل الإعجاز للجرجاني (عبد القاهر) . تصحيح الشيخ محمد عبده .
- ١١ - تفسير سورة الفاتحة . الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق المصرية . القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ١٢ - تفسير جزء عم . الجمعية الخيرية الإسلامية . القاهرة .

- ١٣ - تفسير القرآن الكريم . أكمله رشيد رضا .
- ١٤ - تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده . في ثلاثة مجلدات . جمعه محمد رشيد رضا . الطبعة الثانية . مطبعة المنار . القاهرة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م وتقع المجلدات الثلاثة في حوالى ألف صفحة ، ولا غنى عنها لدارس حياة وأفكار محمد عبده .
- ١٥ - فتاوى الإمام محمد عبده . إعداد د. على جمعة . الجمعية الخيرية الإسلامية . القاهرة ٢٠٠٥ م .

ثانياً : بعض المصادر والمراجع العربية :

- ١- ابن باجة : تدبير المتوحد The guidf for the solitary ويعد هذا الكتاب أهم كتب ابن باجة على الإطلاق . وسنكشف عن أهميته الكبرى في دراسة لنا عن ابن باجة نرجو أن تظهر قريباً ، وقد لخص سلمون مونك S.munk في كتابه mela de la philosophie juive et arabe الأفكار الموجودة في هذا الكتاب . ونشر Dunlop قسماً من هذا الكتاب في مجلة الجمعية الآسيوية مع ترجمة إنجليزية عام ١٩٤٥ م ونشر آسين بلاثيوس هذا الكتاب عام ١٩٤٦ م مع ترجمة إلى اللغة الإسبانية ، ثم نشره الدكتور ماجد فخري مع مجموعة رسائل أخرى لابن باجة . بيروت . دار النهار للنشر عام ١٩٦٨ م .
- ٢ - ابن باجة : رسالة في اتصال العقل الفعّال بالإنسان . نشرها آسين بلاثيوس مع ترجمة إسبانية عام ١٩٤٢ م (مجلة الأندلس) ثم نشرها الدكتور أحمد فؤاد الأهواني مع تلخيص كتاب النفس لابن رشد ، الطبعة الأولى عام ١٩٥٠ م . مكتبة النهضة المصرية . ثم حققها الدكتور ماجد فخري مع مجموعة رسائل ابن باجة الإلهية . بيروت . دار النهار للنشر عام ١٩٦٨ م .
- ٣ - ابن بسّام (أبو الحسن على) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . القسم الأول . المجلد الأول . لجنة التأليف والترجمة والنشر . الطبعة الأولى . سنة ١٩٣٩ م . القاهرة .
- ٤ - ابن تيمية : درء تناقض العقل والنقل . الجزء الأول . القسم الأول . تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم . مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة . سنة ١٩٧١ م .

- ٥ - ابن تيمية: الرد على المنطقيين. المطبعة القيمة . بومباي . سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م.
- ٦ - ابن تيمية : منهاج السنة النبوية . جزء ١ ، ٢ سنة ١٣٢١ هـ ، جزء ٣ ، ٤ سنة ١٣٢٢ هـ . القاهرة . المطبعة الأميرية . بولاق .
- ٧ - ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد) : الفصل في الملل والأهواء والنحل . الطبعة الأولى . المطبعة الأدبية . القاهرة . سنة ١٣٢١ هـ .
- ٨ - ابن حزم : الإحكام في أصول الأحكام . القاهرة . الطبعة الثانية .
- ٩ - ابن خلدون : المقدمة . تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافي . الطبعة الأولى . سنة ١٩٦٠ م . لجنة البيان العربي . القاهرة .
- ١٠ - ابن رشد ^(١) : فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال . نشرة القاهرة سنة ١٨٩٥ م .
- ١١ - ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة . نشرة القاهرة سنة ١٩٥٥ م .
- ١٢ - ابن رشد : تهافت التهافت . طبعة القاهرة سنة ١٩٠١ م ويعد هذا الكتاب من أشهر كتب ابن رشد التي رد فيها على حملة الغزالي ضد الفلسفة والفلاسفة .
- ١٣ - ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ^(٢) . من أهم كتب ابن رشد . تحقيق الأب موريس بويج (في ثلاثة مجلدات) من سنة ١٩٣٨ إلى سنة ١٩٥٢ م . بيروت . المطبعة الكاثوليكية .
- ١٤ - ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة . تحقيق الدكتور عثمان أمين . الطبعة الثانية . سنة ١٩٥٨ م . القاهرة .
- ١٥ - ابن سينا: الإشارات والتنبيهات . (القسم المنطقي والقسم الطبيعي والقسم الإلهي والقسم الخاص بالتصوف) . طبعة القاهرة . سنة ١٩٥٧ م . دار المعارف .

(١) يمكن الرجوع إلى كتابنا « النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد » لمعرفة التفصيلات الخاصة بكتب ابن رشد ص ٣٢٥ وما بعدها . وأيضاً مقالتنا في مجلة « الفكر المعاصر » بعنوان : محاولات جديدة لتفسير تراث ابن رشد - عدد نوفمبر ١٩٦٩م بالإضافة إلى كتابنا « الفيلسوف ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية » .

(٢) راجع ما كتبناه عن هذا التفسير البالغ الأهمية في مقالتنا بمجلة « تراث الإنسانية » العدد الرابع من المجلد الرابع من ص ٣٥٤ إلى ص ٣٨١ . القاهرة ١٩٧١ م .

- ١٦ - ابن سينا : الشفاء (القسم المنطقى والقسم الطبيعى والقسم الإلهى) (١) .
- ١٧ - ابن سينا : النجاة فى الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية . طبعة القاهرة . سنة ١٩٣٨م (٢) .
- ١٨ - ابن سينا : عيون الحكمة . تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى . القاهرة . سنة ١٩٥٤م المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية .
- ١٩ - ابن سينا : المباحثات . تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى . ضمن كتاب أرسطو عند العرب . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٧م .
- ٢٠ - ابن سينا : رسالة فى الحدود . تحقيق جواشون . المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية . سنة ١٩٦٣م .
- ٢١ - ابن سينا : رسالة فى إثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم . (ضمن تسع رسائل فى الحكمة والطبيعات) . القاهرة عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .
- ٢٢ - ابن سينا : رسالة فى علم الأخلاق (ضمن تسع رسائل فى الحكمة والطبيعات) القاهرة عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .
- ٢٣ - ابن سينا : رسالة فى ماهية العشق . نشرة أحمد آتش مع ترجمة إلى اللغة التركية . استانبول . عام ١٩٥٣م . مطبعة إبراهيم خروز .
- ٢٤ - ابن سينا : رسالة العروس . حققها شارل كونس (مجلة الكاتب . عدد خاص عن ابن سينا ، مجلد ١١ جزء ٤ . أبريل ١٩٥٢م) دار المعارف بمصر .
- ٢٥ - ابن سينا : الحجج العشرة الجوهرية فى النفس الناطقة . طبعة حيدر آباد الدكن . عام ١٣٥٤هـ .
- ٢٦ - ابن سينا : رسالة فى أحوال النفس . نشرها الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى عام ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م . القاهرة . دار إحياء الكتب العربية .

(١) راجع ما كتبه عن هذا المؤلف المهم فى كتابنا « الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا » ص ٣٨ وما بعدها ، وراجع أيضاً ما كتبه فى مجلة « تراث الإنسانية » مجلد ٨ عدد ١ ، ص ٣٦-٦٧ . القاهرة ١٩٧٠م .

(٢) لمعرفة تفصيلات كثيرة عن هذا الكتاب وكل كتب ابن سينا الأخرى يمكن الرجوع إلى الفصل الثانى من الباب الأول من كتابنا « الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا » ص ٣٨ وما بعدها . وأيضاً كتابنا « مذاهب فلاسفة المشرق » ص ٢٤٨ وما بعدها .

٢٧ - ابن سينا: رسالة في القوى النفسانية . نشرها الدكتور أحمد فؤاد الأهواني عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م ضمن مجموعة رسائل لابن سينا . القاهرة . دار إحياء الكتب العربية .

٢٨ - ابن سينا : رسالة في معرفة النفس الناطقة . نشرها الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ضمن كتاب أحوال النفس لابن سينا . القاهرة . دار إحياء الكتب العربية ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .

٢٩ - ابن سينا : رسالة أضحية في أمر المعاد . طبعة سليمان دنيا . القاهرة ١٩٤٩م .
٣٠ - ابن سينا : أقسام العلوم العقلية . طبعت ضمن " تسع رسائل في الحكمة والطبيعات " .

٣١ - ابن سينا : رسالة في العهد . طبعت ضمن " تسع رسائل في الحكمة والطبيعات " .

٣٢ - ابن سينا : رسالة حى بن يقظان . نشرها مهрен Mehren مع شرح لها . طبعة ليدن عام ١٨٨٩م .

٣٣ - ابن سينا : رسالة في دفع الغم في الموت . نشرها مهрен مع مجموعة أخرى من رسائل ابن سينا الصوفية . ليدن عام ١٨٨٩م .

٣٤ - ابن سينا : رسالة في معنى الزيارة وكيفية تأثرها . نشرها مهрен مع مجموعة أخرى من رسائل ابن سينا الصوفية . ليدن عام ١٨٨٩م .

٣٥ - ابن سينا : رسالة في ماهية الصلاة . نشرها مهрен مع مجموعة أخرى من رسائل ابن سينا الصوفية . ليدن عام ١٨٨٩م .

٣٦ - ابن سينا : رسالة الطير . نشرها مهرن . طبعة ليدن عام ١٨٨٩م .

٣٧ - ابن سينا : رسالة في القدر . نشرها مهرن مع مجموعة أخرى من رسائل ابن سينا الصوفية . ليدن عام ١٨٨٩م .

٣٨ - ابن الصلاح (أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن تقى الدين الشهرزورى) : فتاوى في التفسير والأصول والعقائد . القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ . وابن الصلاح من الذين هاجموا المنطق والفلسفة ، ويقف موقفاً لا عقلانياً غاية في الغرابة ،

وفتواه ضد الفلسفة مليئة بالعبارات الخطائية التى إذا فشتت عن مدلول لها ما وجدت إلا مبالغة وتهويلاً . وهذا يجعلنا نقدر تقديراً بالغاً اتجاه محمد عبده التنويرى .

٣٩ - ابن طملوس (أبو الحجاج يوسف بن محمد) : المدخل لصناعة المنطق . تحقيق ميخائيل آسين بلاثيوس . الجزء الأول . المطبعة الأيبرقة . مدريد ١٩١٦ م .

٤٠ - ابن عربى (محبى الدين) : الفتوحات المكية . وقد صدر تحقيق دقيق لبعض أجزاء هذا الكتاب قام به صديقنا الدكتور عثمان محبى وراجعته الدكتور إبراهيم بيومى مذكور . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤١ - ابن عربى : فصوص الحكم . تحقيق الدكتور أبو العلا عفيفى مع مقدمات غاية فى العمق . القاهرة . لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٤٢ - ابن نبى (مالك) : شروط النهضة .

٤٣ - أبو البركات (هبة الله على بن ملكا البغدادي) : الاعتبار فى الحكمة (القسم المنطقى والقسم الطبيعى والقسم الإلهى) الطبعة الأولى . حيدر آباد .

٤٤ - أبو البقاء : الكليات . طبعة بولاق . القاهرة .

٤٥ - أبو ريذة (دكتور محمد عبد الهادى) : إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية . القاهرة . لجنة التأليف والترجمة والنشر . الطبعة الأولى . سنة

١٩٤٦ م .

٤٦ - أبو الفدا (عماد الدين) : البداية والنهاية فى التاريخ . القاهرة . مطبعة السعادة .

٤٧ - إخوان الصفا : رسائل . طبعة بيروت . دار صادر سنة ١٩٥٧ م (٤ مجلدات) .

٤٨ - آدمز (تشارلز) : الإسلام والتجديد فى مصر . ترجمة عباس محمود . القاهرة . ١٩٣٥ م .

٤٩ - أرسطو طاليس : علم الأخلاق إلى نيقوماخوس . ترجمة أحمد لطفى السيد . دار الكتب . القاهرة . سنة ١٩٢٤ م .

- ٥٠ - إقبال (دكتور محمد) : تجديد الفكر الدينى فى الإسلام . ترجمة عباس محمود . القاهرة . لجنة التأليف والترجمة والنشر . سنة ١٩٥٥ م . وهذا كتاب بلغ من العمق والشمول مبلغاً كبيراً . ونحن مستفيدون من هذا الكتاب رغم اختلافنا مع الدكتور إقبال فى نقاط عديدة ، ومنها نقاط جوهرية .
- ٥١ - الأسفراينى (أبو المظفر) : التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين . نشرة محمد زاهد الكوثرى . مكتبة الخانجى . القاهرة . سنة ١٩٥٥ م .
- ٥٢ - الأشعرى (أبو الحسن على بن إساعيل) : مقالات الإسلاميين . طبعة محمد محى الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الأولى . سنة ١٩٥٠ م .
- ٥٣ - الأشعرى : الإبانة عن أصول الديانة . القاهرة . إدارة المطبعة المنيرية .
- ٥٤ - الأشعرى : اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع . نشرة الدكتور حمودة غرابة . القاهرة . مكتبة الخانجى . سنة ١٩٥٥ م .
- ٥٥ - الشيال (د. جمال الدين) : رفاة الطهطاوى . أعلام الإسلام . عام ١٩٤٥ م . القاهرة .
- ٥٦ - الأفغانى (جمال الدين) : الرد على الدهريين . نقلها من الفارسية إلى العربية الشيخ محمد عبده . وقدم لها الدكتور عثمان أمين . القاهرة . مكتبة الخانجى . الطبعة الثانية . سنة ١٩٥٥ م .
- ٥٧ - الأنصارى (عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الدباغ) : مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب . تحقيق هـ . ريتز . دار صادر . سنة ١٩٥٩ م .
- ٥٨ - الإيجى (عضد الدين) : المواقف «ثمانية أجزاء» مع شرح السيد الجرجانى وحاشيتى السبالكوتى وحسن جلى . والإيجى يتجه اتجاهاً أشعرياً . وكتابه هذا من الكتب التى لا غنى عنها فى معرفة الآراء الكلامية .
- ٥٩ - الباجورى : حاشية على متن السلم للأخضرى .
- ٦٠ - الباقلانى (أبو بكر محمد بن الطيب) : التمهيد . تحقيق الأب رتشارد مكارثى اليسوعى . المكتبة الشرقية . بيروت . سنة ١٩٥٧ م .

- ٦١ - البطليموسى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد) : الحداثق فى المطالب العالية الفلسفية العويصة . نشرة محمد زاهد الكوثرى . القاهرة . سنة ١٩٤٦ م .
- ٦٢ - البغدادى (عبد القاهر) : الفرق بين الفرق وتمييز الفرقة الناجية منهم . بيروت . دار الآفاق الجديدة . سنة ١٩٧٣ م .
- ٦٣ - التفتازانى (سعد الدين): شرح العقائد النسفية . المطبعة الأزهرية المصرية . الطبعة الأولى . سنة ١٩١٣ م .
- ٦٤ - الجر (الدكتور خليل) وحنا الفاخورى: تاريخ الفلسفة العربية . دار المعارف . بيروت . جزء أول . سنة ١٩٥٧ م ، جزء ثان سنة ١٩٥٨ م .
- ٦٥ - الجرجانى: التعريفات . طبعة القاهرة .
- ٦٦ - الجرجانى : (السيد الشريف على بن محمد) : حاشية على تحرير القواعد المنطقية . القاهرة . مصطفى الحلبى . سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
- ٦٧ - الجزار (د. أحمد محمود) : الدين والأخلاق عند الإمام محمد عبده . مقال بالكتاب التذكارى بإشراف عاطف العراقى .
- ٦٨ - الجوزية (ابن قيم): مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة . القاهرة .
- ٦٩ - الجوزية: إغاثة اللفهان من مصاديد الشيطان . القاهرة . سنة ١٩٦١ م .
- ٧٠ - الجوينى : (أبو المعالى) : الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد . تحقيق الدكتور يوسف موسى ، وعلى عبد المنعم عبد الحميد . مكتبة الخانجى . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٥٠ م .
- ٧١ - الحبابى (محمد عزيز) : من الحريات إلى التحرر . القاهرة . دار المعارف . ١٩٧٢ م .
- ٧٢ - الحبابى : الشخصانية الإسلامية . دار المعارف . القاهرة .
- ٧٣ - الخضيرى (د. زينب محمود) التطور والإصلاح عند محمد عبده . مقال بالكتاب التذكارى بإشراف عاطف العراقى .
- ٧٤ - الحياط (أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد) : كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد . تحقيق الدكتور نيبرج . القاهرة . سنة ١٩٢٥ م .

- ٧٥ - الدانى (أبو الصلت) : تقويم الذهن . طبع بالثيا . المكتبة الأيريقة . مدريد . سنة ١٩٤٥ م .
- ٧٦ - الدوانى (الجلال) : العقائد العضدية ومعه حاشية السبالكوتى ومحمد عبده . الطبعة الأولى . المطبعة الخيرية . القاهرة .
- ٧٧ - الرازى (فخر الدين): شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا . القاهرة . المطبعة الخيرية . سنة ١٣٢٥ هـ . فى جزئين .
- ٧٨ - الرازى : المباحث المشرقية . فى جزئين . حيدر آباد الدكن . سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م ويعتبر هذا الكتاب من أهم وأعمق كتب الرازى .
- ٧٩ - الرازى : الأربعون فى أصول الدين . الطبعة الأولى . سنة ١٣٥٣ هـ . حيدر آباد الدكن .
- ٨٠ - الرازى (قطب الدين محمود بن محمد) : تحرير القواعد المنطقية . القاهرة . مصطفى الحلبى . الطبعة الثانية . سنة ١٩٤٨ م .
- ٨١ - الزركلى: الأعلام . الطبعة الثالثة .
- ٨٢ - السبكى (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين) : طبقات الشافعية الكبرى . الطبعة الأولى . المطبعة الحسينية المصرية . القاهرة . سنة ١٣٢٤ هـ .
- ٨٣ - السنوسى (محمد بن يوسف) : المقدمة فى أصول الدين . نشره لوسيانى -Ll- ciani بالجزائر سنة ١٩٠٨ م مع الترجمة العربية .
- ٨٤ - السيد (أحمد لطفى): قصة حياتى . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . سنة ١٩٩٨ م .
- ٨٥ - السيد : المنتخبات . القاهرة .
- ٨٦ - السيد : تأملات فى الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع . القاهرة .
- ٨٧ - السيد: صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية فى مصر . القاهرة .
- ٨٨ - السيد : كتاب تذكارى . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة .
- ٨٩ - السيوطى (جلال الدين) : صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام . تحقيق الدكتور على سامى النشار ، وسعاد على عبد الرازق . القاهرة . مجمع البحوث الإسلامية . الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٠ م .

- ٩٠ - الشايب (محمد): محمد عبده. الإسكندرية . سنة ١٩٢٩ م .
- ٩١ - الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم) : الملل والنحل . نشرة محمد سيد كيلاني . طبعة القاهرة. مصطفى الحلبي . سنة ١٩٦١ م .
- ٩٢ - الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام . تصحيح: ألفريد جيوم . أكسفورد. لندن . سنة ١٩٣١ م .
- ٩٣ - الصنعاني (محمد بن إبراهيم) : ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان . طبعة القاهرة . سنة ١٩٣١ م . وهذا الكتاب من المصادر التي تنادى بتفضيل الأساليب القرآنية على الاتجاه الفلسفي اليوناني .
- ٩٤ - الطوسي (السراج): اللمع في التصوف . طبعة القاهرة . سنة ١٩٦٠ م .
- ٩٥ - الطوسي(نصير الدين): شرح الإشارات والتنبيهات . نشرة القاهرة . سنة ١٣٢٥ هـ . وهذا الشرح يمثل تأييداً لمواقف ابن سينا .
- ٩٦ - الطويل (الدكتور توفيق) : قضايا من رحاب الفلسفة والعلم . القاهرة . دار النهضة العربية ١٩٨٦ م .
- ٩٧ - الطويل: العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي . القاهرة . دار النهضة العربية ١٩٦٨ م .
- ٩٨ - العدوى (د. إبراهيم): رشيد رضا الإمام المجاهد . القاهرة ١٩٦٤ م .
- ٩٩ - العراقي (الدكتور محمد عاطف) : العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر . دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الإسكندرية ٢٠٠٤ م . الطبعة الثالثة .
- ١٠٠ - العراقي: البحث عن المعقول في الثقافة العربية . دار الثقافة الدينية ٢٠٠٤ م .
- ١٠١ - العراقي : الشيخ الإمام محمد عبده مفكراً تجديدياً . نشر ضمن كتاب الجمعية الخيرية الإسلامية . القاهرة .
- ١٠٢ - العراقي: الشيخ الإمام محمد عبده وقرن من الزمان على وفاته . مجلة أدب ونقد . القاهرة .
- ١٠٣ - العراقي : الإمام محمد عبده . مجلة أون . جامعة عين شمس . القاهرة ٢٠٠٥ م .

- ١٠٤ - العراقي : مفكرون من مصر وقرن من الزمان (الشيخ محمد عبده - زكي نجيب محمود - الأب جورج شحاتة قنواتي) مجلة الديمقراطية ٢٠٠٥ م.
- ١٠٥ - العراقي : الشيخ محمد عبده مفكراً عربياً ورائداً للإصلاح الديني والاجتماعي . إشراف وتصدير عاطف العراقي . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة ١٩٩٥ م . مقالة بعنوان «كتاب الإسلام دين العلم والمدنية» .
- ١٠٦ - العراقي : تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية . دار المعارف . القاهرة ١٩٧٦ م.
- ١٠٧ - العراقي : ثورة العقل في الفلسفة العربية . دار المعارف . القاهرة ١٩٩١ م.
- ١٠٨ - العراقي : النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد . دار المعارف . القاهرة ١٩٦٨ م.
- ١٠٩ - العراقي : الفلسفة العربية (مدخل نقدي) . دار لونيجهان . القاهرة ٢٠٠٥ م.
- ١١٠ - العراقي : الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل . دار الرشاد . القاهرة ٢٠٠٥ م.
- ١١١ - العراقي : الفيلسوف ابن رشد (أربعون عاماً من ذكرياتي مع فكره التنويري) دار الرشاد . القاهرة ٢٠٠٥ م.
- ١١٢ - العراقي : ثورة النقد في عالم الأدب والفلسفة والسياسة . دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الإسكندرية ٢٠٠٢ م.
- ١١٣ - العراقي : دور الفكر المستنير في معركة الحرية . مجلة عالم الفكر . الكويت ٢٠٠٥ م.
- ١١٤ - العراقي : الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا . دار المعارف . القاهرة ١٩٧٢ م.
- ١١٥ - العراقي : الفيلسوف ابن رشد والتنوير . مجلة الديمقراطية . القاهرة ٢٠٠٦ م.
- ١١٦ - العراقي : الثقافة القبطية في مصر . مجلة الديمقراطية . القاهرة ٢٠٠٦ م.
- ١١٧ - العراقي : الفيلسوف ابن رشد حياته وأفكاره . مراجعة الدكتور زكي نجيب محمود . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
- ١١٨ - العروى (د. عبد الله) : مفهوم الحرية . الدار البيضاء . المغرب ١٩٨٣ م.
- ١١٩ - العقاد (عباس محمود) : سعد زغلول . القاهرة ١٩٣٦ م.
- ١٢٠ - العقاد : الشيخ محمد عبده . القاهرة .

- ١٢١- الغزالي (أبو حامد): تهافت الفلاسفة . الطبعة الثانية . سنة ١٩٥٥ م . دار المعارف بمصر .
- ١٢٢- الغزالي : فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة . القاهرة . دار إحياء الكتب العربية .
- ١٢٣- الغزالي : إحياء علوم الدين . القاهرة . دار إحياء الكتب العربية .
- ١٢٤- الغزالي : المنقذ من الضلال . القاهرة . سنة ١٩٥٥ م .
- ١٢٥- الغزالي : معيار العلم . الطبعة الأولى . سنة ١٩٦١ م . دار المعارف بمصر .
- ١٢٦- الغزالي : مقاصد الفلاسفة . الطبعة الثانية . سنة ١٩٣٦ م . المطبعة المحمودية التجارية .
- ١٢٧- الغزالي : المستصفى من علم الأصول . جزءان . سنة ١٣٢٢ هـ ، ١٣٢٤ هـ . الطبعة الأولى . مطبعة بولاق . القاهرة .
- ١٢٨- الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد . مكتبة الحسين التجارية . القاهرة .
- ١٢٩- الغزالي : محك النظر في المنطق . طبعة القاهرة .
- ١٣٠- إلهام العوام عن علم الكلام . سنة ١٣٥٠ هـ . المطبعة المنيرية . القاهرة .
- ١٣١- الغزالي : المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى . تحقيق الدكتور فضل شحادة . دار المشرق . بيروت .
- ١٣٢- الفارابي (أبو نصر) : مقالة في معاني العقل . الطبعة الأولى . سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٧٠ م . مطبعة السعادة . القاهرة . وقد نشرها ديتريش بليدن عام ١٨٩٠ م . كما نشرها الأب موريس بويج عام ١٩٣٨ م . بيروت . المطبعة الكاثوليكية .
- ١٣٣- الفارابي : آراء أهل المدينة الفاضلة . طبعة ليدن عام ١٨٩٥ م . وطبع أيضاً بالقاهرة عام ١٩٤٨ م بمكتبة الحسين التجارية . وقد ترجمه إلى الفرنسية : R.pjaussen, Youssef Karam et J. chlala بعنوان (Idees des habitants dela cite vertueuse) . القاهرة . المعهد العلمى الفرنسى للدراسات الشرقية . كما حققه وقدم له الدكتور ألبير نصرى . دار المشرق . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٩٦٨ م .

- ١٣٤ - الفارابي : فصول متنوعة . تحقيق الدكتور فوزى م ترى نجار . بيروت . دار المشرق . سنة ١٩٦٨ م .
- ١٣٥ - الفارابي : كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق . تحقيق الدكتور محسن مهدي . بيروت . سنة ١٩٦٨ م .
- ١٣٦ - الفارابي : فصوص الحكم . الطبعة الأولى . سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م (ضمن كتاب المجموع للفارابي) . القاهرة . مطبعة السعادة .
- ١٣٧ - الفارابي : شرح كتاب أرسطو في العبارة . نشره وقدم له كوتش وستانلي مارو . دار المشرق . بيروت .
- ١٣٨ - الفارابي : كتاب الخطابة . تحقيق لنگاد Langhade و Grignaschi . بيروت . دار المشرق .
- ١٣٩ - الفارابي : السياسة المدنية «مبادئ الموجودات» حققه الدكتور فوزى م ترى نجار تحقيقاً دقيقاً ممتازاً . بيروت . المطبعة الكاثوليكية . سنة ١٩٦٤ م .
- ١٤٠ - الفارابي : الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون والإلهي وأرسطو . القاهرة . مطبعة السعادة . سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م .
- ١٤١ - الفارابي : عيون المسائل . القاهرة . مطبعة السعادة . سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م .
- ١٤٢ - الفارابي : إحصاء العلوم . تحقيق الدكتور عثمان أمين . دار الفكر العربي . القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٤٨ م .
- ١٤٣ - الفارابي : كتاب الحروف . تحقيق الدكتور محسن مهدي . دار المشرق . بيروت . وهذا الكتاب غاية في العمق والدقة . بل يعد - إلى حد كبير جداً - أهم ما تركه لنا الفارابي . وتحقيق الدكتور محسن مهدي لهذا الكتاب غاية في الدقة . وقد قدم بذلك خدمة كبرى للباحثين في فلسفة الفارابي .
- ١٤٤ - الفارابي : فلسفة أرسطو . تحقيق الدكتور محسن مهدي . دار مجلة شعر . بيروت . سنة ١٩٦١ م .
- ١٤٥ - القشيري : الرسالة القشيرية في علم التصوف . مكتبة صبيح .
- ١٤٦ - الكاتبي (نجم الدين عمر بن علي القزويني) : شرح الرسالة الشمسية . القاهرة . مصطفى الحلبي . سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .

- ١٤٧ - الكلاباذي (أبو بكر محمد) : التعرف لمذهب أهل التصوف . طبعة القاهرة . عيسى الحلبي . سنة ١٩٦٠ م .
- ١٤٨ - الكندي : رسالة إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى . تحقيق : الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة (ضمن مجموعة رسائل الكندي الفلسفية) الجزء الأول . سنة ١٩٥٠ م . وقد حقق هذه الرسالة أيضاً الدكتور أحمد فؤاد الأهواني^(١) ونشرت بالقاهرة . دار إحياء الكتب العربية .
- ١٤٩ - الكندي : رسالة في الفاعل الحق الأول التام^(٢) .
- ١٥٠ - الكندي : رسالة في الجواهر الخمسة .
- ١٥١ - الكندي : رسالة في حدود الأشياء ورسومها .
- ١٥٢ - الكندي : رسالة في وحدانية الله وتناهي جِرم العالم .
- ١٥٣ - الكواكبي (عبد الرحمن) : أم القرى .
- ١٥٤ - الكواكبي : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد . حلب ١٩٥٧ م .
- ١٥٥ - المخزومي (محمد) : خاطرات جمال الدين الأفغاني . لبنان . دار الفكر الحديث ١٩٦٥ م .
- ١٥٦ - المراغي (محمد مصطفى) : محمد عبده . مقالة بمجلة « الرسالة » . يوليو ١٩٤١ م .
- ١٥٧ - المراكشي (عبد الواحد) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب . الطبعة الأولى . سنة ١٩٤٩ م . المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة .
- ١٥٨ - المغربي (د. علي عبد الفتاح) : إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية . القاهرة ١٩٨٥ م .
- ١٥٩ - المغربي : الفكر الاجتماعي عند الإمام محمد عبده . مقال بالكتاب التذكارى بإشراف عاطف العراقي .

(١) توفي في اليوم الثاني عشر من شهر مارس عام ١٩٧٠ م ، ويشاء القدر أن تكون وفاته بعاصمة الجزائر في الوقت الذي كنت فيه معازاً للتدريس في جامعة قسنطينة بالجزائر .

(٢) هذه الرسالة حققها الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، وقد قدّم لها بمقدمات ممتازة ، ونشرت في جزءين ضمن «رسائل الكندي الفلسفية» .

- ١٦٠ - المقرئ (أحمد) : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب . الطبعة الأولى . سنة ١٣٠٢ هـ . القاهرة . المطبعة الأزهرية المصرية .
- ١٦١ - الملطى (أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن) : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع . طبعة مكتبة المعارف . بيروت . سنة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- ١٦٢ - النجار (عبد الوهاب) : صفحة مطوية من حياة محمد عبده في بيروت . مجلة دار العلوم . القاهرة . نوفمبر ١٩٣٥ م .
- ١٦٣ - النجار (د. حسين فوزى) : أحمد لطفي السيد أستاذ الجليل . القاهرة ١٩٦٥ م .
- ١٦٤ - أمين (د. عثمان) : رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده . القاهرة . المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٦ م .
- ١٦٥ - أمين : الفلسفة الرواقية . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية .
- ١٦٦ - أمين (أحمد) : زعماء الإصلاح في العصر الحديث . القاهرة ١٩٧٧ م .
- ١٦٧ - أورسيل (بول ماسون) : الفلسفة في المشرق . ترجمة د. محمد يوسف موسى . القاهرة . دار المعارف ١٩٤٥ م .
- ١٦٨ - بالنشأ : تاريخ الفكر الأندلسى . ترجمة د. حسين مؤنس . ط ١ سنة ١٩٥٥ م . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة .
- ١٦٩ - بالى (د. مرفت عزت) : التصوف في حياة الإمام محمد عبده . مقال بالكتاب التذكارى بإشراف عاطف العراقي .
- ١٧٠ - بدوى (د. عبد الرحمن) : من تاريخ الإلحاد في الإسلام . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية . سنة ١٩٤٥ م .
- ١٧١ - بينيس : مذهب الذرة عند المسلمين . ترجمة د. محمد عبد الهادى أبو ريذة . مكتبة النهضة المصرية . سنة ١٩٤٦ م .
- ١٧٢ - ثاراجوثا : نظرة في مستقبل البشرية . ترجمة د. محمود على مكى . القاهرة . الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العلمية ١٩٩٠ م .
- ١٧٣ - ثامسطيوس : شرح مقالة اللام . ترجمة إسحق بن حنين . تحقيق د. عبد الرحمن بدوى . ضمن كتاب «أرسطو عند العرب» . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٤٧ م .

- ١٧٤ - جرجس (د. سمير فوزى) : موسوعة في تراث القبط . عدة مجلدات . دار القديس يوحنا الحبيب للنشر . القاهرة ٢٠٠٤م (رئيس تحرير الموسوعة د. سمير فوزى جرجس . ومدير تحرير الموسوعة د. مورييس أسعد ، ورئيس المراجعة اللغوية الأستاذ نسيم مجلى).
- ١٧٥ - جرجى زيدان : مشاهير الشرق . القاهرة ١٩١٠م .
- ١٧٦ - جولد تسيهر (أجتس) : العقيدة والشريعة في الإسلام . ترجمة د. محمد يوسف موسى ، وعلى حسن عبد القادر ، وعبد العزيز عبد الحق . القاهرة . دار الكتاب المصرى . سنة ١٩٤٦م .
- ١٧٧ - جولد تسيهر : مذاهب التفسير الإسلامى . ترجمة د. عبد الحليم النجار . القاهرة ١٩٥٥م .
- ١٧٨ - حجازى (د. محمود فهمى) أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى . القاهرة ١٩٩٤م .
- ١٧٩ - حسين (د. طه) : من بعيد . القاهرة ١٩٣٥م .
- ١٨٠ - حسين : مستقبل الثقافة في مصر . القاهرة ١٩٣٨م .
- ١٨١ - حلمى (د. مصطفى) : ابن الفارض والحب الإلهى . القاهرة . دار المعارف بمصر . سنة ١٩٧١م .
- ١٨٢ - حمادة (عبد المنعم) : الأستاذ الإمام محمد عبده . القاهرة .
- ١٨٣ - حمدان (جمال) : العالم الإسلامى المعاصر . عالم الكتب . القاهرة ١٩٩٠م .
- ١٨٤ - خليفة (حاجى) : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون . تحقيق محمد شرف يالتقىا . جامعة استانبول . مجلد ١ سنة ١٩٤١م ، مجلد ٢ سنة ١٩٤٣م .
- ١٨٥ - دى بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام . ترجمة د. محمد عبد الهادى أبو ريدة . ط ٣ . سنة ١٩٥٤م . لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- ١٨٦ - دى فو (كارا) : مادة الفارابى بدائرة المعارف الإسلامية . مجلد ٢ عدد ٩ (الترجمة العربية) .
- ١٨٧ - رجب (د. محمود) : الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين . الإسكندرية . منشأة المعارف .

- ١٨٨ - رجب : الاغتراب « دراسة في أزمة الإنسان » القاهرة . دار الكتب الجامعية ١٩٧٤ م .
- ١٨٩ - ريشنباخ (هانز) : نشأة الفلسفة العلمية . ترجمة د. فؤاد زكريا . القاهرة . دار الوفاء للنشر والطباعة والنشر . الإسكندرية ٢٠٠٤ م .
- ١٩٠ - زايد (سعيد) : الفارابي . القاهرة . دار المعارف .
- ١٩١ - زقزوق (د. محمود حمدي) : مكانة العقل في فكر الشيخ محمد عبده . مقال بالكتاب التذكاري بإشراف عاطف العراقي .
- ١٩٢ - زكريا (د. فؤاد) : آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٧٥ م .
- ١٩٣ - زيادة (د. معن) : معالم على طريق تحديث الفكر العربي . سلسلة عالم المعرفة . الكويت ١٩٨٧ م .
- ١٩٤ - سارتون (جورج) : تاريخ العلم . ترجمة بإشراف د. إبراهيم بيومي مذكور . القاهرة . دار المعارف .
- ١٩٥ - شاکر (د. زينب عفيفي) : النزعة النقدية في فكر محمد عبده . مقال بالكتاب التذكاري بإشراف عاطف العراقي .
- ١٩٦ - صقر (د. إبراهيم) : فكرة الألوهية عند الشيخ محمد عبده . مقال بالكتاب التذكاري بإشراف عاطف العراقي .
- ١٩٧ - طوقان (قدري حافظ) : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك . ط ٢ سنة ١٩٥٤ م . جامعة الدول العربية . الإدارة الثقافية .
- ١٩٨ - ضيف (د. شوقي) : عالمية الإسلام . دار المعارف . القاهرة ١٩٩٦ م .
- ١٩٩ - ضيف : الأدب العربي المعاصر في مصر . القاهرة . دار المعارف ١٩٨٣ م .
- ٢٠٠ - عبد الجبار (القاضي المعتزلي) : المغنى في أبواب التوحيد والعدل . حققته لجنة بإشراف د. طه حسين ومراجعة د. إبراهيم بيومي مذكور . صدر في عدة مجلدات .
- ٢٠١ - عبد الرازق (الشيخ مصطفى) : كتاب تذكاري . المجلس الأعلى للثقافة . تصدر عاطف العراقي .

٢٠٢ - عبد الرازق : محمد عبده . الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية . القاهرة ١٩٩٧ م .

٢٠٣ - عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام . القاهرة .

٢٠٤ - عبد الرازق : فيلسوف العرب والمعلم الثانى . القاهرة .

٢٠٥ - عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة فى الإسلام . القاهرة . لجنة التأليف والترجمة والنشر . سنة ١٩٤٤ م .

٢٠٦ - عبد الرازق (على) : من آثار مصطفى عبد الرازق . القاهرة . دار المعارف ١٩٥٧ م .

٢٠٧ - عفيفى (د. أبو العلا) : التصوف « الثورة الروحية فى الإسلام » القاهرة . دار المعارف . ط١ . سنة ١٩٦٣ م .

٢٠٨ - على (د. على جواد) : تاريخ العرب قبل الإسلام . عدة مجلدات . بغداد . المجمع العلمى العراقى . سنة ١٩٥٧ م .

٢٠٩ - فرح (فايز) : سلامة موسى . الإسكندرية ٢٠٠٥ م .

٢١٠ - فهمى (منصور) : الإمام الشيخ محمد عبده . مجلة الراديو المصرى . يوليو ١٩٤٣ م .

٢١١ - فؤاد (د. عبد الفتاح) : النزعة العقلية فى الفلسفة التربوية عند الشيخ محمد عبده . مقال بالكتاب التذكارى بإشراف عاطف العراقى .

٢١٢ - قسوم (د. عبد الرزاق) : مدارس الفكر العربى الإسلامى المعاصر . دار عالم الكتب . الرياض ١٩٩٧ م .

٢١٣ - قلعجى (قدرى) : -محمد عبده « بطل الثورة الفكرية فى الإسلام » . بيروت ١٩٤٨ م .

٢١٤ - قناتى (الأب جورج) : مؤلفات ابن سينا . القاهرة . دار المعارف . سنة ١٩٥٠ م .

٢١٥ - قناتى : المسيحية والحضارة العربية . القاهرة .

٢١٦ - لوكاشيفتش (يان) : نظرية القياس الأرسطية من وجهة نظر المنطق الصورى

الحديث . ترجمة د. عبد الحميد صبرة . الإسكندرية . منشأة المعارف . سنة ١٩٦١ م .

- ٢١٧ - محمود (د. زكى نجيب) : المعقول واللامعقول . القاهرة . دار الشروق .
- ٢١٨ - محمود : تجديد الفكر العربى . دار الشروق ١٩٧١ م .
- ٢١٩ - محمود : نافذة على فلسفة العصر . كتاب العربى . الكويت ١٩٩٠ م .
- ٢٢٠ - محمود : ثقافتنا فى مواجهة العصر . القاهرة . دار الشروق .
- ٢٢١ - محمود : قيم من التراث . القاهرة . دار الشروق ١٩٩٩ م .
- ٢٢٢ - محمود : بذور وجذور . القاهرة . دار الشروق .
- ٢٢٣ - محمود : عربى بين ثقافتين . القاهرة . دار الشروق .
- ٢٢٤ - محمود : طريقة الرمز عند ابن عربى فى ديوانه ترجمان الأشواق . مقال بالكتاب التذكارى لمحيى الدين بن عربى فى الذكرى المئوية الثامنة لميلاده . القاهرة . المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . سنة ١٩٦٩ م .
- ٢٢٥ - محمود : قشور ولباب . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية . سنة ١٩٥٧ م . ويتضمن هذا الكتاب العديد من الدراسات المهمة . ومنها « ثورة فى الفلسفة » و « أسطورة الميتافيزيقا » و « الفكر العربى المعاصر » .
- ٢٢٦ - محمود : خرافة الميتافيزيقا . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٣ م .
- ٢٢٧ - مجلى (نسيم) : لويس عوض .
- ٢٢٨ - مذكور (د. إبراهيم بيومى) : محمد عبده الإمام . مقال بالكتاب التذكارى بإشراف عاطف العراقى .
- ٢٢٩ - مذكور : فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه . القاهرة . دار المعارف .
- ٢٣٠ - مذكور : أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية « القسم الخاص بالفلسفة » . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . سنة ١٩٧٠ م . ط ١ .
- ٢٣١ - مذكور : الفكر الفلسفى فى مائة عام « مع آخرين » . إشراف هيئة الدراسات

العربية في الجامعة الأمريكية . بيروت ١٩٦٢ م.

٢٣٢ - مكاوى (د. عبد الغفار) : مدرسة الحكمة . القاهرة . الدار القومية . وهو كتاب يعرض لكثير من أفكار الفلاسفة ومذاهبهم قديماً وحديثاً في أسلوب دقيق عميق .

٢٣٣ - منتصر (د. عبد الحليم) : تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه . القاهرة . دار المعارف ١٩٦٦ م.

٢٣٤ - ميهوب (د. سيد عبد الستار) : الإنسان والمجتمع في فكر محمد عبده . مقال بالكتاب التذكاري بإشراف عاطف العراقي .

٢٣٥ - نكرى (القاضي عبد النبي عبد الرسول الأحمـد) : جامع العلوم الملقب بدستور العلماء في اصطلاحات العلوم والفنون . ط ١ . مطبعة دائرة المعارف النظامية . حيدر آباد الدكن . في ثلاثة أجزاء ١٣٢٩ هـ .

ثالثاً : بعض المصادر والمراجع غير العربية :

(1) Anawati et L . Ggardet : introduction a la theologie musulmane. Paris 1948 .

ولهذا الكتاب ترجمة عربية في ثلاثة مجلدات بعنوان «فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية . ترجمة د. صبحى العلى ، د. فريد جبر . بيروت . دار العلم للملايين ١٩٦٧ م .

(2) Arberry (A.J) : Avicenna on theology . London . Murray 1951 .

(3) Arberry: the legacy of persia. edited by Arberry. Oxford, London 1953 .

ولهذا الكتاب الذى أشرف عليه أربرى ترجمة عربية أشرف عليها د. يحيى الخشاب . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة ١٩٥٩ م .

(4) Aristotle: Metaphysics ⁽¹⁾. A revised text with introduction and

(١) راجع ما كتبناه عن الترجمات العربية القديمة، وعن التفصيلات حول كتب أرسطو ، وذلك في كتابنا «الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا» ، وفي كتابنا «مذاهب فلاسفة المشرق» .

commentary by S.D. Ross. London - oxford 1924 two volumes.

(5) Aristotle: de anima - English translation by j.h smith - v3 ⁽¹⁾ 1963 .

(6) Aristotle : The logic of Aristotle - English translation 1963 London - oxford.

وتوجد ترجمة عربية قديمة لهذا الكتاب ومجموعة من الشروح عليها . وهى شروح ابن السمع ومثى بن يونس وأبى الفرج الطيب . وحقق الترجمة مع الشروح د. عبد الرحمن بدوى . القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ م فى مجلدين . كما قام أحمد أمين بترجمة جزء من كتاب الطبيعة مع مقدمات بار تلمى سانت هيلير . القاهرة . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٥ م .

(7) Aristotle : The ethics - English translation .

وتوجد ترجمة عربية لكتاب الأخلاق النيقوماخية لأرسطو قام بها أحمد لطفى السيد . القاهرة ١٩٢٤ م .

(8) Arnold (Thomas and Alfred Huillaume) : The legacy of islam . London 1960 .

وقد تُرجم قسم من هذا الكتاب إلى اللغة العربية . لجنة الجامعيين لنشر العلم . القاهرة ١٩٣٦ م وترجم قسم الإلهيات والفلسفة من هذا الكتاب د. توفيق الطويل .

(9) Collingwood (R.G) : Anessay on Metaphysics . London - oxford 1952.

(10) Collingwoo: The idea of nature . London 1945 Oxford university.

(11) Corbin (Henri) : Avicenna and the visionary recital - English translation by W.R.Trsk .London - routeledge - kagan Paul1960 .

(12) Corbin : Histoire de la philosophie islamique. Vol 1 des- origines jusque a la mort d'averroes.

(١) هو رقم المجلد فى الترجمة الإنجليزية التى صدرت تحت إشراف د. روس .

وقد صدرت ترجمة عربية لهذا الكتاب قام بها نصير مروة وحسن قبيسي وقدم لها موسى الصدر وعارف تامر . بيروت . لبنان ١٩٦٦ م .

نود أن نشير إلى أن كوربان يلجأ إلى تأويل بعض الأفكار عند بعض الفلاسفة العرب تأويلاً قد لا تتفق معه عليه ، كما يدخل في تاريخه للفلسفة شخصيات تنتسب إلى الفلسفة من بعيد .

(13) Crump (G and E .Jacop) : The legacy of middle ages. 1938 .

وتوجد ترجمة عربية لهذا الكتاب . القاهرة . مؤسسة سجل العرب ١٩٥٥ م . وقد ترجم القسم الخاص بالفلسفة د.زكي نجيب محمود .

(14) Dugat (G) : Histoire des philosophies et des theologiens musulmans . Paris . maisonneave.

(15) Duhem (P): Le Systeme du monde Histoire des doctrines cosmogiques de Platon a Copernic . Paris . Hermann, 1954 .

(16) Gauthier (L) : Ibn Rochd (Averroes) . Paris 1948 .

(17) Gauthier : La theorie d'Ibn Rochd (Averroes) sur les rapport de la religion et de la philosophie . Paris 1909 .

(18) Gauthier : Etudes sur La philosophie d'Averroes Concernant son rapport avec Celle d'Avicenna et Gazzali . Paris Universitaires de France 1948 .

(19) Gilson (E) : History of Christian Philosophy in the Ages 1955 .

(20) Lecky (W.E.H) : History of the rise and influence of the spirit of Rationalism in Europe . London 1946.

(21) Machdonald : Development of Muslim Theology . New York 1923 .

(22) Madkour (Dr . Ibrahim) : La place d'Alfarabi dans l'ecole philosophique Musulmane . Paris 1934 .

- (23) Madkour : L'Organon d'Aristote dans le monde arabe . second edition . librairie philosophique.Vrin . Paris 1969 .
- (24) Mahdi (Dr. Muhsin) : Alfarabi against philoponus . The University of Chicago . Center of middle Eastern Studies Reprinted journal of Near Eastern studies . Vol 26 No 9 october 1967 .
- (25) Maimonides : The guide for the Perplexed . English translation .
- (26) Massignon (M.L): La philosophie orientale d'Ibn Sina, et son alphabet philosophique (Memorial Avicenna Iv, publications de l'institut Francais d'Archeologie orientale de Caire 1954.
- (27) Mehren (A.F): Etudes Sur La philosophie d'Averroes Concernant son rapport avec Celle d'Avicenna et Gazzali .
- (28) Mellon (S.H) : Western Christian Thought in the Middle ages. London .
- (29) Montomery (Watt) : Free will and predestination in Early Islam. London 1942.
- (30) Munk (S): Melanges de philosophie juive Arabe . Paris 1955 .
- (31) O'leart (De Lacy) : Arabic thought and its place in history . 1958 London . Kegan . Paul .
- وللكتاب ترجمة عربية قام بها الدكتور تمام حسان ، وراجعها الدكتور محمد مصطفى حلمي. وزارة الثقافة . القاهرة .
- (32) O'Leary : How greek Science passed to the Arabs . London . Routledge paul 1948 .
- وللكتاب ترجمة عربية قام بها الدكتور وهيب كامل ، وراجعها زكي على . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ م .
- (33) Oursel (Paul Masson) : Comparative philosophy . London . Kegan Paul 1962 .

(34) Plato : The Republic . English translation by A. D. Lindsay . London 1948.

وقد قام بترجمتها ترجمة حديثة الدكتور فؤاد زكريا وراجعها على الأصل اليوناني الدكتور محمد سليم سالم . الإسكندرية . دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر ٢٠٠٤ م .

(35) Quadri (G): La philosophie Arabs l'Europe Medievale des Origines a Averroes . Traduit de l'Italien par Roland Huret. Paris 1960 .

(36) Radhakrishnan : History of philosophy of Eastern and Western . London . Allen . Unuin , vI 1962 . vII 1963 .

(37) Renan (E): Averroes et L'Averroisme . Paris 1949.

(38) Ross (W.D) : Aristotle . Oxford . London 1953 .

(39) Russell (B): History of Western philosophy . London 1961 .

وترجم الدكتور زكي نجيب محمود القسم الأول والقسم الثاني من هذا الكتاب (الفلسفة اليونانية والفلسفة المسيحية) . القاهرة . لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(40) Sharif (M . M) : A history of Muslim philosophy . Two volumes 1963 .

(41) Taylor (A.E) : plato , the man and his work . London Methuen 1952 .

(42) Taylor : A Commentary on Plato's Timaeus . London.

(43) Taylor (H.O): The Mediaeval Mind . Two volumes . Harvard 1962 .

(44) Vaux (Carra De) : Les penseurs de L'Islam . Geuthner . Tome II et IV 1920-1923.

(45) Vaux : Avicenna . Paris . Alcon 1900 .

(46) Walzer (R.R) : Articales Avicenna and Arabic philosophy in Encyclopaedia Britannica. London 1964 .

- (47) Wensinck (A.J): The Muslim Creed . London . Cambridge.
- (48) Whittaker : Neo – Platonist . London . Cambridge .
- (49) Wulf (Maurice De) : History of Mediaeval philosophy . Two volumes . London . Longmans . Green 1935 .
- (50) Dr . A. F. Alahwany : Islamic philosophy . Cairo.
- (51) Dr. O. Amin : Moslem philosophy . Cairo .
- (52) Albert Hourani : Arabic thought in the liberal age (1798-1939) London 1962.
- (53) Edward Atiah : The Arabs . London 1955 .

* * *

قائمة بالأعمال العلمية للمؤلف

* أولاً : التأليف :

- النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد . دار المعارف . القاهرة . ط ٦ سنة ١٩٩٥ م .
- الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا . دار المعارف . القاهرة . ط ٢ . سنة ١٩٧١ م .
- مذاهب فلاسفة المشرق . دار المعارف . القاهرة . ط ١١ سنة ١٩٩٩ م .
- تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية . دار المعارف . القاهرة . ط ٦ . سنة ١٩٩٣ م .
- ثورة العقل في الفلسفة العربية . دار المعارف . القاهرة ط ٧ سنة ١٩٩٩ م .
- الميتافيزيقا في فلسفة ابن طفيل . دار المعارف . القاهرة ط ٦ سنة ١٩٩٧ م .
- المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد . ط ٣ . سنة ١٩٩٥ م .
- الفلسفة الإسلامية . دار المعارف . سنة ١٩٧٨ م .
- العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر . دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر . ط ٣ . الإسكندرية . ٢٠٠٤ م .
- الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل . دار الرشاد . ط ٥ . القاهرة . ٢٠٠٥ م .
- الفلسفة العربية (مدخل نقدي) . دار لونجمان ١٩٩٩ م .
- الفيلسوف ابن رشد (بالاشتراك مع زكى نجيب محمود). المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٨ م .

- محاضرات في تاريخ العلوم عند العرب . القاهرة . جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم ١٩٩٥ م .
- الشيخ محمد عبده والتنوير (قرن من الزمان على وفاته) . دار الرشاد . القاهرة .
- ابن رشد .. فيلسوفاً عربياً بروح غربية . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة .
- محاضرات في الفلسفة الإسلامية . معهد الدراسات الإسلامية . القاهرة . ١٩٨٠ م .
- البحث عن المعقول في الثقافة العربية . دار الثقافة الدينية ٢٠٠٤ م .
- الفيلسوف ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية (أربعون عاماً من ذكرياتي مع فكره التنويري) ط٢ . دار الرشاد . القاهرة ٢٠٠٥ م .
- الأصول والفروع لابن حزم . تحقيق (بالاشتراك) . دار الثقافة الدينية . ط٢ . القاهرة ٢٠٠٥ م .
- نحو معجم للفلسفة العربية (مصطلحات وشخصيات) ط٣ . دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الإسكندرية ٢٠٠١ م .
- الإسلام دين العلم والمدنية للشيخ محمد عبده . تحقيق ودراسة نقدية . ط٤ . دار قباء . القاهرة ٢٠٠٤ م .
- رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده . تحقيق وتصدير . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة ١٩٩٨ م .
- ثورة النقد في عالم الأدب والفلسفة والسياسة . دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الإسكندرية ١٩٩٩ م (ثلاثة مجلدات) .
- محمد إقبال وقضية التجديد (ضمن كتاب عن محمد إقبال) القاهرة . مكتبة مدبولي ١٩٨٠ م .

- تصدير لكتاب الدكتور عثمان أمين (محمد عبده رائد الفكر المصرى)
المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة ١٩٩٤ م .

- دراسات فى الكتب التذكارية التى صدرت عن : د. إبراهيم بيومى
مدكور، د. عثمان أمين ، أحمد لطفى السيد ، د. شوقى ضيف ، الشيخ
محمد عبده ، د. توفيق الطويل ، د. زكى نجيب محمود (جامعة الكويت) .
ود. زكى نجيب محمود (المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة) ، ود. على
سامى النشار ، الفيلسوف ابن رشد ، يوسف كرم ، د. محمد عبد الهادى
أبو ريدة ، د. أبو الوفا التفتازانى، د. حسين نصار ، د. زكى نجيب محمود
(دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية) .

* ثانياً : الإشراف :

- يوسف كرم مفكراً عربياً ومؤرخاً للفلسفة . المجلس الأعلى للثقافة .
القاهرة .

- الشيخ محمد عبده مفكراً عربياً ورائداً للإصلاح الدينى والاجتماعى .
المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة .

- الدكتور توفيق الطويل مفكراً عربياً ورائداً للفلسفة الخلقية . المجلس
الأعلى للثقافة . القاهرة .

- الشيخ مصطفى عبد الرازق . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة .

- الدكتور أبو الوفا التفتازانى . دار الهداية للطباعة والنشر . القاهرة .

- الفيلسوف ابن رشد مفكراً عربياً ورائداً للاتجاه العقلى . المجلس الأعلى
للثقافة . القاهرة .

- الدكتور زكى نجيب محمود مفكراً عربياً ورائداً للاتجاه العلمى التنويرى .
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الإسكندرية ٢٠٠٢ م .

